

جامعة الجزائر 2 - بوزريعة

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

مشروع تولية الأمير عبد القادر على بلاد الشام

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

تخصص علاقات مغرب-مشرق

إعداد الطالب: عبدالقادر بوتشيشة

إشراف الأستاذ: الدكتور أبوالقاسم سعد الله

السنة الدراسية: 2012 - 2013

مشروع تولية الأمير عبد القادر

على بلاد الشام

جامعة الجزائر2 - بوزريعة

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

مشروع تولية الأمير عبد القادر على بلاد الشام

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر
تخصص علاقات مغرب-مشرق

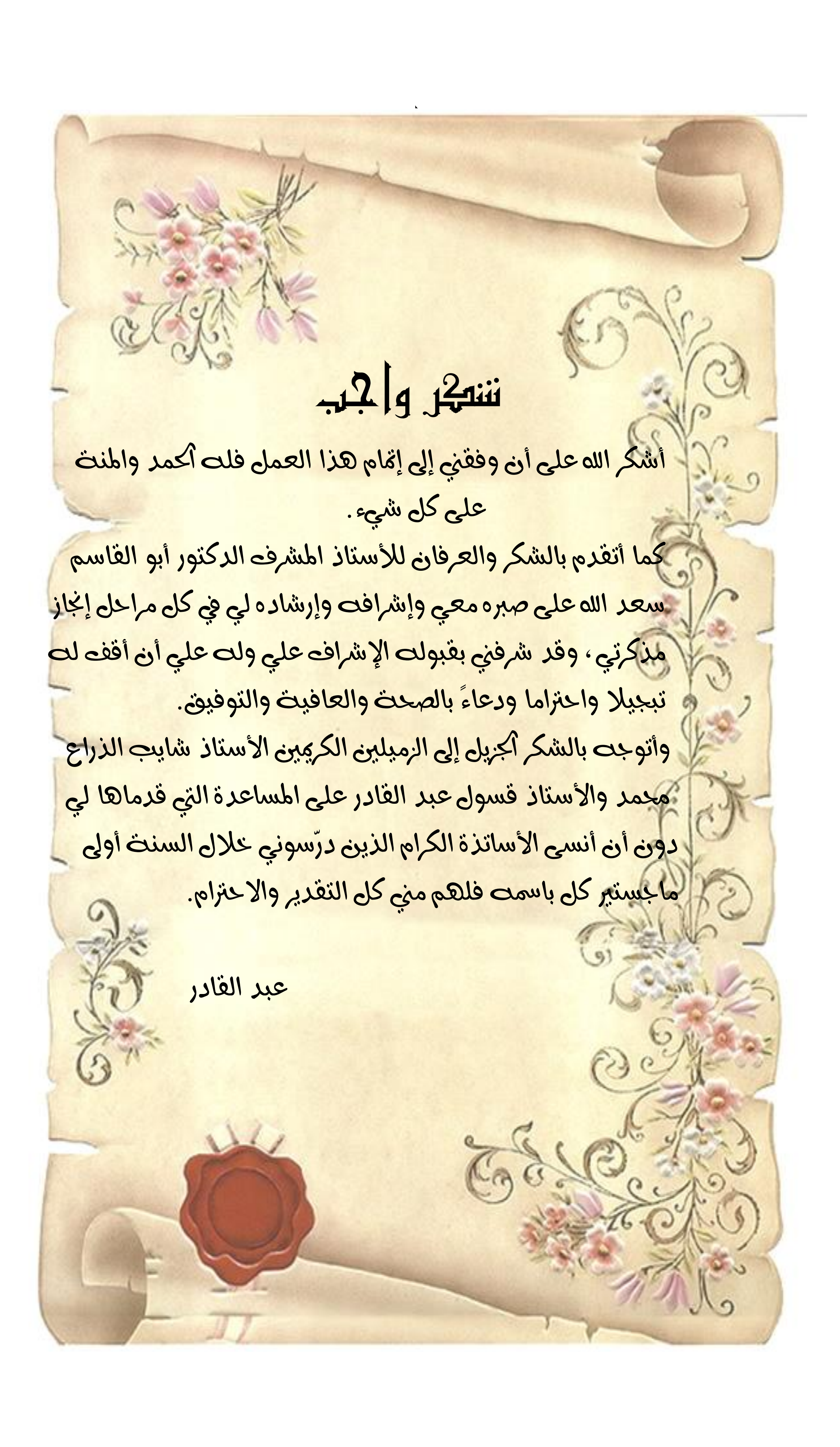
إعداد الطالب: إشراف الأستاذ:

عبدالقادر بوتشيشة الدكتور أبوالقاسم سعد الله

أعضاء لجنة المناقشة: تاريخ المناقشة: 2013/07/08

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
مصطفى نويصر	أستاذ محاضر	رئيسا
أبو القاسم سعد الله	أستاذ التعليم العالي	مقررا
محمد بلقاسم	أستاذ محاضر	عضوا
محمد العربي معريش	أستاذ محاضر	عضوا

السنة الدراسية: 2012 - 2013



شكر واجب

أشكر الله على أن وفقني إلى إتمام هذا العمل فله الحمد والمنة على كل شيء.

كما أتقدم بالشكر والعرفان للأستاذ المشرف الدكتور أبو القاسم سعد الله على صبره معي وإشرافه وإرشاده لي في كل مراحل إنجاز مذكرتي، وقد شرفني بقبوله الإشراف علي وله علي أن أقف له تبجيلا واحتراما ودعاءً بالصحة والعافية والتوفيق.

وأتوجه بالشكر الجزيل إلى الزميلين الكريمين الأستاذ شايب الذراع محمد والأستاذ قسول عبد القادر على المساعدة التي قدماها لي دون أن أنسى الأساتذة الكرام الذين درّسوني خلال السنة أولى ماجستير كل باسمه فلهم مني كل التقدير والاحترام.

عبد القادر

الخطة

مقدمة

مدخل: ظروف انتقال الأمير إلى المشرق.

1. أوضاع الدولة العثمانية ومحاولاتها استرجاع الجزائر.
2. الموقف الدولي من الاحتلال الفرنسي للجزائر.
3. الأمير الأسير.
4. الوضع العام في فرنسا(1848-1870م).

الفصل الأول: انتقال الأمير إلى المشرق(1852 – 1860م).

1. الأمير في الأناضول(1852 – 1856م).
2. الأمير من استقراره بالشام(1856)إلى فتنة الستين(1860م).
3. المجتمع الشامي والسلطة العثمانية.

الفصل الثاني: المشروع الفرنسي لتولية الأمير عبد القادر على سورية(1860 – 1870م).

1. الفتنة الطائفية ودور الأمير في إخمادها.
2. المشروع الفرنسي لتولية الأمير عبد القادر على سورية.

الفصل الثالث: المشروع العربي لمبايعة الأمير عبد القادر ملكا على الشام.(1877-1878)

1. ظهور الوعي القومي بالمنطقة.
2. شخصية الأمير ومكانته بين أهل الشام.
3. الحركة الاستقلالية الشامية وترشيح الأمير لقيادتها.
4. بين الأمير عبد القادر والزعيم اللبناني يوسف كرم.

الخاتمة:

الملاحق:

المصادر والمراجع.

الفهارس.

المختصرات والتنبيهات

- إع: إعداد.
- تح: تحقيق.
- ت: توفي
- تر: ترجمة.
- تع: تعريب.
- تعل: تعليق.
- تق: تقديم.
- ج: متبوعة برقم تعني الجزء.
- جم: جمع.
- د ت: دون تاريخ.
- د: دكتور.
- ش: شرح.
- ط: متبوعة برقم تعني الطبعة.
- ع: عدد.
- غ م: غير منشور.
- ك: متبوعة برقم تعني الكتاب.
- م: متبوعة برقم تعني المجلد.
- (هـ): للإحالة على الهامش.
- [كذا]: أضيفت إلى التراكيب أو الجمل المشتملة على أخلاط نحوية أو غير ذلك محافظة على النص الأصلي.
- [...]: غير أصلي.
- SNED: Société Nationale d'Edition et de Diffusion
- ANEP: Agence Nationale d'Edition et de Publicité



مقدمة



مقدمة:

يُعدُّ الأمير عبد القادر الجزائري، من أهم الشخصيات التاريخية والوطنية التي صنعت أمجاد المقاومة الجزائرية ضد المستعمر الفرنسي، بل من أبرز رموز المقاومة ضد الاستعمار في العصر الحديث، ومن قادة العالم في التاريخ المعاصر الذين اشتهروا بعبقريتهم وحكمتهم، شهد له بذلك البعيد قبل القريب والعدو قبل الصديق، بعد أن أبهرهم في ساحات المعارك بطلاً، وبتركه للحرب جنوحا للسلم حكمةً، وإدراكا لماهيات وطبيعة الموازين، بفكره العميق.

وقد حقق الأمير هذا الصيت، بفضل قوة الفكرة التي حملها كقائد للمقاومة من المنظور الإسلامي العربي. وبفضل مواقفه الوطنية والإنسانية انضم إلى مصاف قادة العالم القلائل الذين جمعوا بين قوة السيف والبندقية وقوة القلم والحكمة.

وعندما كان عليَّ اختيار موضوع لرسالتي، أردت أن أبحث في نشاط الأمير في المشرق، فجاء موضوع البحث موسوما بــ:«مشروع تولية الأمير عبد القادر على بلاد الشام».

والسؤال البديهي الهام الذي يُطرح في هذا المقام هو: ما هي الإضافة التي يمكن أن تضيفها هذه الدراسة، إلى عشرات أو مئات الكتب والدراسات التي كتبت وأنجزت حول الأمير حتى اليوم؟ سواء من كُتَّاب جزائريين أو مشارقة أو أجانب؟

إن الكثير من الدراسات تناولت الأمير من حيث سيرتُه الجهادية أو من حيث بناء دولته الحديثة، والملفت للانتباه في جُل هذه الكتابات، سواء الجزائرية أو

المشرقية أو الأجنبية -خاصة الفرنسية- هو تركيزها على الجوانب العسكرية في حياة الأمير، وهي المرحلة الأولى من حياته التي قضاها بالجزائر.

إلا أن هذه الكتابات ظلت – في نظرنا- بعيدةً عن تناول المرحلة الثانية من حياة الأمير، وقد زادت عن الثلاثين سنة من عمره، وهي مرحلة هامة من حياته تَبلوَرَ فيها البعد العالمي والإنساني لشخصيته.

ومن هذا المنطلق اخترت هذا العمل، بعد تشجيع من أستاذي المشرف الدكتور أبو القاسم سعد الله.

أما الجديد الذي ستضيفه – في نظري- هذه الدراسة المتواضعة، فهو الكشف عن التجربة التي خاضها الأمير في الشام، وكيف أنه وجد نفسه في ميدان معركة أخرى تعددت أطرافها وتضاربت مصالحها كان لابد له من اتخاذ موقف منها مبني على المبادئ والقيم الإسلامية والإنسانية التي عُرف بها.

ومن هنا أحاول ترسيخ فكرة أن الأمير ظل محور استقطابٍ ومركز اهتمامٍ، حتى بعد أن قرر وضع السلاح والتسليم لقدر الابتعاد عن وطنه، فقد أبى تاريخ هذا الرجل التوقف عند مسيرته الجهادية في الجزائر.

انطلاقا من هذه الأرضية، تبين – في حدود معرفتي- عدم وجود مرجع ينفرد بدراسة هذا الموضوع كاملا، باستثناء دراسة للمؤرخ الفرنسي شارل روبير أجرون والموسومة بـــ«عبد القادر عاهل لمملكة عربية في الشرق»، وهي دراسة تتناول المشروع الفرنسي لتولية الأمير على سورية. ودراسة أخرى لمواطنه برونو إتيين تحت عنوان «مشاريع مملكة عربية ببلاد الشام : قصة سوء فهم بين فرنسا والأمير عبد القادر». وكتاب «سطور من الرسالة» لصاحبه عادل الصلح، الذي يتحدث عن مشروع عربي لمبايعة الأمير ملكا على بلاد الشام، والملفت للانتباه أن أجرون وإتيين لا يشيران إلى المشروع العربي، كما أن عادل الصلح لا يتحدث عن

المشروع الفرنسي. هذا بالإضافة إلى إشارات للموضوع من قبل الدكتور سعد الله في كتاباته منها كتابه «بحوث في التاريخ العربي الإسلامي»، كما أشارت إليه الكتابات المتعلقة بالحركة القومية العربية، نذكر منها «نشوء القومية العربية» لزين نور الدين زين، و«التكوين التاريخي للأمة العربية» لمؤلفه عبد العزيز الدوري؛ كما أن الدكتور عبد الرؤوف سنّو في كتابه «النزعات الكيانية الإسلامية في الدولة العثمانية» قد أفرد فصلا كاملا من فصوله لدراسة الحركة الاستقلالية الشامية التي رشحت الأمير ملكا على الشام.

إن هذا النقص الملحوظ في الأبحاث المتعلقة بنشاط الأمير في المشرق، هو الذي دفعني إلى البحث في الموضوع الذي وقع اختياري عليه آملا في سد بعض النقص من خلال هذا الإسهام المتواضع.

وبناءً على ما سبق تكونت لدي الإشكالية المحورية التالية:

وهي أهمية شخصية الأمير عبد القادر بأبعادها العربية والإسلامية والعالمية كرائد من رواد النهضة العربية الحديثة وكمُلْهِم لحركات التحرر في الوطن العربي من خلال تواجده بالمشرق وأثره على الحراك السياسي الذي عرفته المنطقة.

ومن هنا ينبغي علينا أخذ الصورة كاملة عن الرجل وتصحيح الصورة النمطية السائدة عنه –على الأقل عند غير المتخصصين– والتي يكاد يسودها الظلام بانطفاء شعلة مقاومته للمحتل الفرنسي في نهاية عام 1847.

فعندما انتقل الأمير عبد القادر إلى الشام بعد إطلاق سراحه من طرف الإمبراطور نابليون الثالث كانت سمعته وسيرته الطيبة قد سبقته إلى تلك الديار، فقد سمع الناس عن بطولاته في جهاده الطويل ضد الفرنسيين في الجزائر، ولكنّه كان على موعد مع الشهرة التي بلغت الآفاق، عندما تدخل بكل شجاعة وإخلاص لإطفاء نار الفتنة التي نشبت بين المسلمين والمسيحيين. وكان هذا الموقف الشجاع هو الذي

دفع عددًا من زعماء الشرق والغرب لترشيحه لإمارة بلاد الشام؛ طبعا إلى جانب خدمة مصالح بعض الدول بطرح المشروع.

وهكذا أحاول في هذا البحث الإجابة عن التساؤلات التالية:

ما هي حقيقة مشروع ترشيح الأمير عبد القادر ملكا على الشام؟ ومن كان حقيقة وراء هذا المشروع؟ وما هي أهدافه وأبعاده؟ وهل سعى الأمير إلى الإمارة حتى يُرشَّح لها؟ ولماذا الأمير عبد القادر الجزائري بالذات وليس شخصا أخر من أهل البلد؟ كيف تصرف الأمير حياله؟ وما موقف الدول الفاعلة وقتئذ منه؟ ذلك ما سأحاول الإجابة عليه من خلال هذا البحث.

لقد اعترضتني صعوبات جمة ككل باحث في مثل هذه الموضوعات الشائكة والحساسة والتي تتطلب التدقيق في معلوماتها والمقارنة بين وجهات النظر المتباينة حولها.

لقد بدا لي الموضوع مع ذلك شيقا وجذابا عند اختياري له ولكن عندما باشرته وجدته صعبا ومعقدا سواء من حيث طبيعة المادة المتعلقة به أو من حيث الأحداث والوقائع وترتيبها وهذا لتداخلها وتشابكها.

كما أنه، وإن توفرت المادة العلمية بالنسبة لقسم من الموضوع وهو المشروع الفرنسي لتولية الأمير على سورية، فإنه بالعكس وجدت نقصا كبيرا في المراجع التي تتحدث عن المشروع العربي، وهذه المراجع على قلتها تأخذ من مرجع واحد وهو كتاب سطور من الرسالة.

كما تكمن صعوبة هذا البحث في كونه موضوعا حساسا لأنه يترجم لشخصية تاريخية لامعة من جهة، ويدرس ظاهرة تاريخية تندرج في إطار محاولة فصل

البلاد العربية عن الدولة العثمانية سواء كان الأمر يصب في مصلحة شعوب المنطقة أو يخدم مصالح الدول الاستعمارية.

اعتمدت في عملي هذا على بعض المصادر والمراجع والتي تختلف من حيث أهميتها حسب علاقتها المباشرة أو الجزئية بالموضوع، وسأقتصر على ذكر بعض منها، فمن المصادر أذكر: «حياة الأمير» لهنري تشرشل الذي طبع عام 1867 والذي ترجمه إلى العربية الدكتور أبو القاسم سعد الله، و«تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر» للأمير محمد بن عبد القادر الذي طبع سنة 1903. فـكتاب تشرشل يمثل وجهة نظر الغرب لحياة الأمير، بينما تؤرخ (التحفة) لحياة الأمير من منظور إسلامي. ولكن بالرغم من شهرة المصدرين المذكورين كونهما أهم المصادر التي تناولت حياة الأمير إلا أنَّ كليهما خلا من أي إشارة إلى مسألة ترشيح الأمير لإمارة الشام.

كما تعتبر الصحافة والكتابات الفرنسية المعاصرة للأمير من المصادر التي استعنت بها لإتمام عملي هذا وأخصّ بالذكر، كتاب «عبد القادر: حياته السياسية والعسكرية»(Abd-el-kader. Sa vie politique et militaire.) لألكسندر بليمار الذي طبع سنة 1863. والواقع أن جل الكتابات الفرنسية لا تخرج عن توجهها العام الذي يهدف إلى تمجيد الاستعمار واعتبار الأمير بعد 1852 صديقا وتابعا لفرنسا بينما اقتصرت صداقة الأمير في الواقع على أشخاص بعينهم وعلى رأسهم الإمبراطور نابليون الثالث.

أما عن أهم المراجع التي اعتمدت عليها فهي «سطور من الرسالة» لـعادل الصلح والذي يرتقى إلى درجة المصدر لكونه أول مرجع يتكلم عن حركة وجهاء الشام ولأنه يعتمد أساسا على رواية شفوية نقلها للمؤلف والده عن جده. ومن المراجع الهامة التي اعتمدت عليها: الكتابات الفرنسية حول الموضوع أخص بالذكر منها كتاب «عبد القادر الجزائري» لبرونو إتيين وبعض ما كتبه عميد المؤرخين

الفرنسيين شارل روبير أجرون. وكل ما يمكن القول عن هذين المؤرخين، هو أن الأول ركز على الجانب الصوفي من شخصية الأمير والثاني حاول تكريس فكرة الكيان الجزائري المرتبط بفرنسا لأنه كان من أنصار «الجزائر للجزائريين» التي بدأت مع نابليون الثالث وانتهت مع شارل ديغول.

هذا بالإضافة إلى عدد من المقالات الصادرة في بعض الدوريات والصحف منها مجلة التاريخ، والمجلة المغاربية، وبعض الصحف ذُكرت في مكانها من هذه المذكرة.

وقد اتبعت في دراسة هذا الموضوع المنهج التاريخي الاستقرائي، وذلك بالبحث عن الأثر الذي تركه الأمير أينما حلّ أو ارتحل وكيف تعامل مع الأحداث التي عاصرها والمواقف التي واجهها.

وتبعا لهذا المنهج جاء البحث في مقدمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة وملاحق وفهارس.

تناولت المقدمة طرح موضوع البحث وإشكاليته، وإبراز أهميته، واستعراض لأهم مصادره ومراجعه.

وتطرقت في المدخل إلى أوضاع المنطقة التي شكلت المحطات الهامة في حياة الأمير بعد مرحلة الجهاد وهي فرنسا بلد الاستعمار والسجن والمعاناة، والدولة العثمانية بلد المهجر وحلبة الصراع والتنافس بين القوى الأوروبية. وتعرضت في المدخل إلى محاولات الدولة العثمانية استعادة الجزائر وكيف تعاملت القوى الأوربية الفاعلة مع مسألة الاحتلال الفرنسي لها.

وتناولت في الفصل الأول رحلة الهجرة والاستقرار ببلاد الشام بعد معاناة الأسر والسجن وفرحة استعادة الحرية والتكريم. وقد قسمت هذا الفصل إلى ثلاث

مباحث: المبحث الأول عن ظروف انتقال الأمير إلى بورسة واستقراره بها وكيف وطن نفسه على العيش بها، كما تعرضت فيه إلى حرب القرم وزيارة الأمير إلى فرنسا وهي الزيارة التي تلاها انتقاله إلى الشام وهو موضوع المبحث الثاني، أما المبحث الثالث فخصصته لدراسة المجتمع الشامي وعلاقته بالسلطة العثمانية.

أما الفصل الثاني الخاص بـــ«المشروع الفرنسي لتولية الأمير على سورية» فكان مقسما إلى مبحثين: المبحث الأول: يتناول بالدراسة والتحليل الفتنة الطائفية التي حدثت بالشام ودور الأمير في إخمادها، وهي الظروف والأحداث التي جعلت بعض الأصوات تتنادى في فرنسا –وحتى خارجها- مرشحة الأمير لحكم سورية، وهو موضوع المبحث الثاني.

أما الفصل الثالث: فعنوانه «المشروع العربي لمبايعة الأمير ملكا على الشام»، وتطرقت فيه إلى حركة وجهاء الشام؛ وهي حركة قومية سياسية سرية قامت سنة 1877 من أجل استقلال البلاد الشامية وتولية الأمير عبد القادر عليها. وجاء الفصل في أربعة مباحث وهي: «ظهور الوعي القومي بالمنطقة»، و«شخصية الأمير ومكانته بين أهل الشام»، و«الحركة الاستقلالية الشامية وترشيح الأمير لقيادتها» وخصصت المبحث الرابع لمناقشة العلاقة والمراسلات التي قامت «بين الأمير والزعيم اللبناني يوسف بك كرم» الذي أقترح مشروعا عرف عند البعض بالمشروع الماروني تميزا له عن المشروع الإسلامي (حركة وجهاء الشام).

وكانت الخاتمة متضمنة للدلالات والاستنتاجات التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة.

ولتتحقق الفائدة دُعِّم البحث بملاحق تضمنت جدولاً زمنيًا بأهم المحطات في حياة الأمير، ونماذج من مراسلات الأمير، بالإضافة إلى صور ذات صلة بالموضوع.

وبعد، فإن هذا البحث يعدُّ مساهمة متواضعة تلقي الضوء على جانب من حياة الأمير عبد القادر وتلفت الأنظار إلى النشاط السياسي الاستقلالي الذي عرفته بلاد الشام بعد استقراره بها، وهي مساهمة تفتح الآفاق على دراسات أوسع وأعمق للموضوع عند اكتشاف وثائق جديدة.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل من قدّم لي يد العون وأخص بالذكر الأستاذ المشرف الدكتور أبو القاسم سعد الله، والله من وراء القصد.

الشلف، 23 فبراير 2013

عبد القادر بوتشيشة



مدخل



ظروف انتقال الأمير إلى المشرق.

1. أوضاع الدولة العثمانية ومحاولاتها استرجاع الجزائر.
2. الموقف الدولي من الاحتلال الفرنسي للجزائر.
3. الأمير الأسير.
4. الوضع العام في فرنسا (1848-1870).

1- أوضاع الدولة العثمانية ومحاولاتها استرجاع الجزائر:

في حين كانت أوروبا تمضي قُدُما في طريق النهضة والتقدم، مستفيدة من الثورة الصناعية التي عرفتها بعض أقطارها في نهاية القرن الثامن عشر وخلال القرن التاسع عشر؛ كانت الأوضاع في الدولة العثمانية تتدهور أكثر فأكثر، مما حدا بالسلاطين العثمانيين خلال هذه الفترة إلى التفكير جدّيا في الإصلاح والتغيير لإنقاذ الدولة من الانهيار والأطماع الأوروبية وسياسة التقسيم التي كانت تنادي بها روسيا خاصة، ومن الضغوط الاستعمارية التي كانت تشنها بريطانيا وفرنسا، ومن الاعتداءات العسكرية المتتالية من جانب الإمبراطوريتين النمساوية والروسية.

ولعل من أكثر السلاطين الذين تحمسوا لفكرة التغيير والإصلاح هو السلطان محمود الثاني[1]، الذي مست إصلاحاته جوانب عديدة في الدولة منها الجيش، فقد سعى السلطان إلى تكوين جيش جديد على الطراز الأوروبي، واستقدم لهذا الغرض خبراء فرنسيين وألمان، كما أرسل البعثات التعليمية إلى أوروبا وأسس مدرسة للطب كان التدريس فيها بالفرنسية[2]. كما أدخل إصلاحات عميقة على الجهاز الإداري مست ولايات السلطنة بما في ذلك ولاية الشام، وظهرت طبقة من الإداريين-الذين عرفوا بالأفندية- يتعلمون الفرنسية ويكتسبون الطباع الغربية[3]. الأمر الذي أدى إلى تكوين تيار من الأتراك يميلون إلى فرنسا ثقافة وفكرا ويؤيدون

1 -محمود الثاني: (1784-1839)، سلطان عثماني (1808-1839) أُجلس على العرش بعد خلع أخيه السلطان مصطفى الرابع، استمرت في عهده الحرب الروسية التركية (1806-1812) أباد الانكشارية. غزا محمد علي في عهده فلسطين وسورية والأناضول وفي عهده احتلت فرنسا الجزائر. أنظر:

-حسين محمد نصار، الموسوعة العربية الميسرة، م6، ط3، المكتبة العصرية، بيروت، 2009، ص 3060.

2 -عبد العزيز سليمان نوار، الشعوب الإسلامية، دار النهضة الحديثة، بيروت، 1973، ص 178.

3 -نفسه، ص 180.

وجهات النظر والطرح السياسي الفرنسي. حتى أن السلطان عبد الحميد الثاني[1] يقر بتحسن العلاقات مع فرنسا وبمدى التأثير الفرنسي في سياسة الإصلاحات العثمانية، فهو يقول في مذكراته:«ولنا أن نقول إن السنوات الأخيرة من تاريخنا هي العصر الذهبي للعلاقات مع فرنسا. والإصلاحات التي نفذت في عهدي سلفيَّ عبد العزيز[2] وعبد المجيد[3] هي إصلاحات مستمدة من فرنسا، وكانت المدارس والمعاهد العسكرية تحت تأثير النظام الفرنسي»[4].

لكن هذه الإصلاحات لم تؤد إلى استعادة الدولة لقدرتها على الانتصار في المعارك، وتجلى ذلك في الهزائم المتكررة للقوات العثمانية أمام الجيوش الروسية. واستولى الفرنسيون على الجزائر في 1830، كما مر معنا، دون أن يكون للسلطان

---

1 –عبد الحميد ابن عبد المجيد (1842–1918) السلطان الرابع والثلاثون وآخر سلاطين الدولة العثمانية الفعليين. تولى الحكم لمدة 33 عاماً من 1876 حتى 1909. اتسمت فترة حكمه بأحداث جسام. فقد تفاقمت الأزمة الاقتصادية في الدولة، واشتد ضغط الدول الاستعمارية على الدولة العثمانية خاصة من جانب روسيا التي أجبرت السلطان على قبول شروطها القاسية في معاهدة سان ستيفانو، كما خسرت الدولة ممتلكاتها في أوروبا بعد مؤتمر برلين 1878، واستولت فرنسا على تونس وبريطانيا على مصر. أعلن في عهده الدستور على يد الصدر الأعظم مدحت باشا الذي وقع بينه وبين السلطان خلاف فنفاه، ثم اغتيل واُتهِم السلطـــان بالوقوف وراء اغتياله. تآمر عليه الصهاينة لأنه رفض التنازل لهم عن فلسطين فأبعد عن العرش عام 1909 من قبل جماعة الاتحاد والترقي، وظل تحت الإقامة الجبرية حتى وفاته سنة 1918. انظر:

–عزتلو يوسف بك آصاف، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، تق محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1990، ص 128–139.

2 –عبد العزيز (1830–1876) سلطان عثماني (1861–1876) تولى الحكم وعمره 22 سنة، كان أول سلطان عثماني يطوف بعواصم أوروبا، واصل إصلاحات أخيه عبد المجيد، عزل ومات منتحرا وقيل مقتولا. انظر:

–آصاف، مرجع سابق، ص 122–125.

3 –عبد المجيد الأول ابن محمود الثاني (1823–1861) السلطان العثماني الحادي والثلاثون (1839–1861)، من أشهر سلاطين عصر التنظيمات صدر في عهده (خطي شريف كلخانة وهمايون) كما وقعت في فترة حكمه حرب القرم، وافق على انتقال الأمير عبد القادر للعيش في أراضي السلطنة بعد اطلاق سراحه. انظر:

– نفسه، ص 120–121، (مع بعض الإضافات).

4 –عبد الحميد الثاني (السلطان)، السلطان عبد الحميد الثاني مذكراتي السياسية 1891–1908، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1979، ص 139.

القدرة على استعادتها[1] رغم المحاولات والجهود المضنية، وما لبث أن انقلب عليه واليه على مصر محمد علي[2] مدعوما بفرنسا، وأنزلت قواته الهزائم المتتالية بجيوش السلطان ولولا تدخل بريطانيا لصالح السلطان لكان مصير الدولة العثمانية مختلفا عما آلت إليه الأوضاع لاحقا.

محاولات استرجاع الجزائر:

في المراحل الأولى للحكم العثماني كان ارتباط الجزائر بمركز الخلافة قويا، ومع مرور الزمن أصبح للإيالة شخصيتُها المتميزة، وأخذت توسع استقلالها شيئا فشيئا، إلى أن لم يبق بينها وبين الخليفة العثماني سوى الروابط الأدبية الشكلية: السلطان يصادق على تعيين الباشا الذي ينتخبه الديوان، وترسل الجزائر بقطع من أسطولها للمشاركة في الجهاد تحت راية الخليفة. أما ما عدا ذلك فالجزائر كانت حرة في إدارة شؤونها الداخلية والخارجية، تحارب من حاربها، وتسالم من سالمها، وتعقد المعاهدات الحربية والسياسية والتجارية مع بقية الدول[3].

1-بالرغم من أن السلطان العثماني لم يفقد الأمل في استعادتها وراهن في ذلك على تناقضات السياسة الدولية. لمزيد من التفصيل انظر:

-نينل الكسندروفنا دولينا، الامبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية في ثلاثينات وأربعينات القرن التاسع عشر، تر أنور محمد ابراهيم، المجلس العلمي للثقافة، القاهرة، 1999، ص 157.

2- محمد علي: (1769-1849) والي مصر (1805-1849) ولد باليونان جاء في حملة إلى مصر لإجلاء نابليون منها في 1899، عين واليا سنة 1805. استعان بالأجانب خاصة الفرنسيين في تنظيم الجيش والري والتعليم. ساعد السلطان في اخماد ثورة اليونانيين ولكنه انقلب على سيده و حاربه وكاد أن يحتل الآستانة لولا تدخل القوى الأوروبية. يذكر له أنه صانع نهضة مصر الحديثة ويؤخذ علية أنه استبد في الحكم وأرهق المصريين بالضرائب وساق شبابهم إلى حروبه العديدة. توفي ودفن بالقاهرة أنظر:

- نصار وآخرون، م6، مرجع سابق، ص3053.

3 -أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2001، ص 70.

ومع ذلك لم تقبل الدولة العثمانية بأن يقتطع من أراضيها هذا الجزء القاصي وبذلت جهودا لمحاولة منع الاحتلال قبل وقوعه ثم لاسترجاعها. وسنستعرض فيما يلي هذه الجهود.

لما علم السلطان بتأزم العلاقة بين فرنسا والجزائر أرسل المفتي السابق خليل أفندي للجزائر لمحاولة تأمين التفاهم بين الداي حسين[1] والحكومة الفرنسية ولكنه لم يوفق في إنهاء الخلاف بين الطرفين؛ فأرسل طاهر باشا[2] في مهمته تتلخص في اقناع الداي بالاستجابة لشروط فرنسا بالاعتذار لها ورد الاعتبار لشرفها المهان، وإذا لم يمتثل الداي حسين لذلك يقوم بعزله وإعدامه حسب بعض المصادر الأجنبية[3]. ولكن فرنسا منعت طاهر باشا من الوصول إلى مدينة الجزائر وعطلت مسعاه حتى احتلت المدينة فكان مصير هذه المهمة أيضا الفشل.

1 – الداي حسين هو آخر دايات الجزائر(1818–1830)، ولد في مدينة أزمير التركية حوالي عام 1764 أو 1773. عمل في سلاح المدفعية وترقى في رتبه بسرعة، فر إلى الجزائر بعد تعرضه لعقوبة واستطاع أن يكسب صداقة الباشا علي الذي أوصى بخلافته سنة 1818. عرف عنه أنه كان قاسيا وصلبا في اجراءاته وأنه لم يكن يتورع في قتل خصومه أو من يشك في خطورتهم عليه. توفي في الاسكندرية سنة 1838. أنظر:

– أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1900–1930)، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص18.

–و ألتر، مرجع سابق، ص 616.

2 –بحار جزائري أصله من الأناضول، عمل قائدا في معركة نافارين، تولى منصب وزير الحربية من 1832 إلى 1836 ثم واليا على طرابلس الغرب. وفي سنة 1841 عين من جديد وزرا للحربية لمدة سنتين. توفي سنة 1847. انظر:

–آرجمنت كوران، السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، تر عبد الجليل التميمي، منشورات الجامعة التونسية، 1970، ص 49.

3 –أنظر:

–كوران، مرجع سابق، هامش ص 55.

وقبل التطرق إلى بقية الجهود والمحاولات التي بذلتها السلطات العثمانية لاسترجاع الجزائر بعد وقوع الاحتلال، نشير إلى ما يمكن اعتباره محاولة من الداي حسين نفسه لاسترجاع ملكه. فبعد توقيعه لمعاهدة الاستسلام سمحت له سلطات الاحتلال بمغادرة الجزائر هو وعائلته فذهب إلى نابولي ثم ليفورنا[1] بإيطاليا ومنها قام بزيارة إلى باريس سنة 1831، وقد دونت تفاصيل هذه الزيارة في مقال للكاتب والمؤرخ الفرنسي أوغستين جال الذي أجرى حديثا مع حسين باشا أثناء إقامته بأحد فنادق العاصمة الفرنسية؛ وخلال هذه الزيارة راجت إشاعات بأن حسين لم يأت إلى باريس إلا لكي يتفاوض بشأن رجوعه إلى الجزائر؛ وبالرغم أن السيد جال كان يعتقد بعدم صحة هذه الإشاعات إلا أن الدكتور سعد الله يرجح أن سبب الزيارة كان فعلا محاولة من حسين باشا لاسترجاع ملكه[2].

بعد فشل مهمة طاهر باشا في منع احتلال الجزائر عاد إلى المشرق، واستمر سعي السلطان لاسترداد الجزائر، ولكن المساعي كانت تتم على مستوى السلك الدبلوماسي في عاصمة السلطنة بين ممثلي الدول الأوربية –وخاصة فرنسا وانجلترا–والباب العالي[3]. ثم تواصلت الجهود الدبلوماسية في العاصمة الفرنسية بعد

1- ليفورنا:(قرنة) مرسى تجاري من أشهر مراسي إيطاليا، قال عنها السنوسي أنها «هي بلد ذات ميناء أمينة محكمة الوضع تتوارد عليها الفوابير (البواخر) في كل آن. وفيها مراكز شركات كثيرة» كما وصفها بأنها أنظف بلد رآه وأن بها طائفة يهودية كبيرة. انظر:=

= محمد السنوسي، الرحلة الحجازية، ج1، تح علي الشنوفي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1976، ص 227-228.

2 –يحدد سعد الله فترة هذه الزيارة بحيث يذكر أنها كانت خلال شهور أوت–سبتمبر–أكتوبر. لمزيد من التفصيل عن هذه الزيارة ، انظر:

– سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،ج3، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005، ص 231-267.

3- تمثلت في تبادل المذكرات خاصة بين السفير الفرنسي ورئيس الكتاب (ناظر الخارجية) لدى الباب العالي.

–انظر: كوران، مرجع سابق، ص 61-68.

تعيين مصطفى رشيد باشا سفيرا لدى باريس فشرع في مفاوضات طويلة ومضنية دون أن تكلل جهوده بالنجاح، وقد كان يعول كثيرا على تناقضات السياسة الدولية لاسترجاع الجزائر. وفي سنة 1847 لم يرد ذكر الجزائر للمرة الأولى في قائمة ولايات السلطنة وهذا يعني أن السلطان قد تنازل عن حقه فيها[1].

2-الموقف الدولي من الاحتلال الفرنسي للجزائر:

طغى على العلاقات الجزائرية الأوروبية الطابع العدائي، نتيجة وقوف الجزائر أمام سياسة أوروبا الصليبية التوسعية في العالم الاسلامي ونتيجة لسياسة الجزائر في حوض البحر المتوسط الغربي والتي كانت تقوم على مهاجمة السفن التجارية والحربية للدول التي لم تعقد معاهدة سلم معها ومن ثمة الحصول على الأتاوات منها، أو الاستلاء على سفنها وأسر ركابها.

وكانت القرصنة تشكل المورد الأساسي لإيالة الجزائر[2]، حتى ظهر على مسرح الأحداث ما أسمته الدول الأوروبية في أدبياتها «القرصنة والمسألة الجزائرية».

وبالرغم من أن علاقات الجزائر بفرنسا كانت جيدة نسبيا إلا أن هذه الأخيرة لم تتردد في توجيه حملة لاحتلالها عندما وجدت الفرصة سانحة بعد أزمة الديون وحادثة المروحة الشهيرة، فكيف كان موقف الدول الأوروبية الأخرى من مسألة احتلال الجزائر؟

1 -دولينا، مرجع سابق، ص 135-144.

2 -كوران، مرجع سابق، ص 28.

أبدت روسيا تأييدها للعمل الفرنسي وشجعتها على ذلك، أما بروسيا والنمسا فكانتا مسرورتين لإرسال القوات الفرنسية لخارج أوروبا[1].

وأما بالنسبة لبريطانيا فكانت أحزابها، سواء الموجودة في الحكومة أو في المعارضة، مجمعة على إدانة التدخل الفرنسي في الجزائر وقد ترجمت حكومة ويلنغتون[2] هذا الشعور القومي في المرحلة الأولى بعمل دبلوماسي نشيط كان محوره لندن –باريس– اسطنبول[3]. ولكن بريطانيا فشلت في منع فرنسا من احتلال الجزائر. والواقع أنها لم تكن مستعدة للدخول في صراع مع فرنسا من أجل القضية الجزائرية خاصة بعد حدوث تغيرات في العلاقات الدولية، بل بالعكس سارعت إلى الاعتراف بملكية لويس فيليب[4] وأعلنت عن صداقتها مع فرنسا[5].

1 –عزيز سامح ألتر، الأتراك العثمانيون في شمال أفريقيا، تر محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، 1989، ص 637.

2 –ويلنغتون، آرثر ويلسلسي، الدوق الأول(1769–1852) قائد وسياسي بريطاني. التحق بالجيش في 1787، عمل في الهند إلى جانب أخيه ريتشارد الحاكم العام للهند. شارك في عدة حروب منها الحرب التي خاضتها دول أوروبا ضد نابليون وانتصر عليه في معركة واترلو. عين رئيسا للوزراء(1828–1830) ثم قائدا عاما للجيش البريطاني مدى الحياة(1842–1852). عرف باسم الدوق الحديدي.

انظر: نصار وآخرون، م 7، مرجع سابق، ص 3615.

3 –كوران، مرجع سابق، ص 62، 64، 67.

4 –ولد لويس فيليب سنة 1773 وتوفي عام 1850، قضت ثورة 1848 على سلطته، فهربّ إلى إنجلترا، واشتهر بالجبن والنفاق حتى مع أعز أصدقائه. أنظر:

–حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تق وتع وتح: محمد العربي الزبيري، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 240.

5 –تمثلت هذه التغيرات في توقيع معاهدة دفاعية بين النمسا وبروسيا وروسيا. وبدت أوربا منقسمة إلى كتلتين متعارضتين: فرنسا، وتدعمها انجلترا الليبرالية، ضد أوروبا الحكم المطلق. انظر:

–كوران، نفسه، ص 68.

ونور الدين حاطوم، تاريخ الحركات القومية، ج2، ط1، دار الفكر، دمشق، 1969، ص 22.

وكانت الدول الأوروبية الشمالية محبذة للمشروع؛ في حين تحفظت إسبانيا التي تربطها بالجزائر عدة اتفاقيات وامتيازات تجارية، فرفض ملكها فرديناند السابع المشاركة في تموين القوات الفرنسية الغازية الجزائر[1].

وهكذا يمكن القول أن مواقف الدول الأوروبية من مسألة احتلال الجزائر لم تتباين لكنها تراوحت بين التشجيع والترحيب والتحفظ المحتشم فالعمل الفرنسي هو على الأقل، في نظر الأوروبيين، تخليص أوروبا من «القرصنة البربرية» وإعادة أهمية البحر المتوسط لتجارة أوروبا مع الهند إذ وفرت طريقا أقصر نحوها من طريق رأس الرجاء الصالح[2] وعلى أقصى تقدير هو اشفاءً للغليل وللحقد الصليبي الذي كان دائما حاضرا في الحروب التي خاضها الغرب المسيحي ضد الشرق الإسلامي.

3- الأمير الأسير.

بعد أن احتلت الحملة الفرنسية مدينة الجزائر وما حولها- في صيف 1830 في عهد شارل العاشر[3]، ثم في عهد ملكية يوليو (ملكية لويس فيليب)- اعتبر الضباط الفرنسيون هذه البلاد أرضا مستباحة ولجؤوا إلى اتباع سياسة النهب والسلب والتوسع[4]، وأخذوا يشجّعون هجرة المستوطنين[5] الأوروبيين إليها. ولكنّهم

1 -مولود عويمر، كيف تعامل الرأي العالمي مع الاحتلال الفرنسي للجزائر (1830)، البصائر، ع 608، جويلية 2012.

2 -Louis de Baudicour, La France au Liban, E. Dentu libraire. Paris. 1879, p. 3.

3 -يحيى بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية 1830-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 7.

4 - مصطفى هشماوي، جذور نوفمبر 1954 في الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2010، ص 13.

5 -المستوطنون: تعبير عام يشمل الفرنسيين الأصليين الذين هاجروا من بلادهم إلى الجزائر كما يشمل الإسبان والإيطاليين والمالطيين وغيرهم من شعوب أوروبا الغربية الذين هاجروا إلى الجزائر وتجنسوا بالجنسية الفرنسية. وكان يطلق على الجميع اسم الكولون Colons أو المعمرين (المستعمرين).انظر:
سعد الله، على خطى المسلمين حراك في التناقض، عالم المعرفة، ط1، الجزائر، 2009، ص 265.

واجهوا مقاومة شعبية عنيفة اندلعت في مختلف مناطق البلاد بعد انتهاء المقاومة الرسمية باستسلام الداي حسين.

ولعل أشهر وأكبر مقاومة واجهت جحافل الجيش الفرنسي وسياسته الاستعمارية[1] هي مقاومة الأمير عبد القادر الجزائري التي امتدت من 1832 إلى أواخر سنة 1847 استطاع خلال مرحلتها الأولى أن يلحق الهزائم المتكررة بقوات العدو حتى اضطرت فرنسا أن تعترف بدولته ووقعت معه عدة معاهدات: معاهدة ديميشال (26 فيفري 1834) ومعاهدة التافنة 30 ماي 1837[2] وقد دفعت فرنسا بمزيد من القوات والقادة العسكريين المحنّكين للقضاء على دولة الأمير ومقاومته ومنهم المارشال كلوزيل[3] والمارشال بيجو[4] على سبيل الذكر لا الحصر. وأمام اشتداد ضغط القوات الاستعمارية وتخلي القبائل في الجزائر عنه وانقلاب سلطان

1 –السياسة الاستعمارية: نقصد بها تحديد طبيعة العلاقة بين دولة الأصل والأقطار المرتبطة بها. أنظر:

–محمد حسنين، الاستعمار الفرنسي، ط4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 27.

2– حسان صبحي، الأمير عبد القادر وتاريخ الوحدة الوطنية الجزائرية، مجلة أخبار معسكر ع خاص بمناسبة الذكرى 119 لوفاة الأمير عبد القادر، جوان 2002.

3– برتراند الكونت كلوزيل(Clauzel) قائد عسكري فرنسي ولد في 12 ديسمبر 1772، عين قائدا عاما للجيش الفرنسي في الجزائر خلفا لدي بورمون في 1831. استدعي لفرنسا حيث رقي إلى مارشال ثم عين حاكما عاما للجزائر. كان من أشد المدافعين عن فكرة الاحتفاظ بالجزائر نهائيا فارتكب أبشع الجرائم، توفي سنة 1842. أنظر:

Faucon Narcisse, Le livre d'Or de l'Algérie, Challamel et Cie Éditeurs, Librairie Algérienne et Coloniale, Paris, 1889, pp.157-160.

– وخوجة، مرجع سابق، ص209.

4– توماس روبير بيجو دولا بيكونيري(1781–1849) المعروف بالمارشال بيجو(Bugeaud) الملقب بدوق إسلي، حارب في بروسيا وبولندا وإسبانيا ثم أبعد عن الخدمة سنة 1815 من طرف آل بوربون فانكفأ إلى ضيعته واشتغل بالزراعة إلى غاية 1830 حيث عاد إلى معترك السياسة ودخل البرلمان. وفي سنة 1836 عين قائدا لمنطقة وهران بمهمتين هما محاربة الأمير والتفاوض معه، خاض ضده عدة معارك انتصر في بعضها (الصكاك) وانهزم في البعض الآخر، وتوجت المفاوضات بإبرام معاهدة التافنة (1837)، ثم استدعي لفرنسا ليعود إلى الجزائر سنة 1840 حاكما عاما. عزل عن منصبه في 1948، ومات بوباء الكوليرا في 10 جوان 1849 بفرنسا. انظر:

Narcisse, op.cit., pp.128-130.

المغرب ضده؛[1] اضطر الأمير عبد القادر في النهاية إلى التفاوض مع القائد الفرنسي الجنرال لاموريسيار[2] على التسليم على أن يسمح له بالهجرة إلى الإسكندرية أو عكا ومن أراد من أتباعه، وتلقى وعدًا بذلك فوقع على شروط التسليم في 23 ديسمبر 1847م، ورحل على ظهر إحدى البوارج الفرنسية التي أوصلته ومرافقيه بعد ثلاثة أيام الى ميناء طولون[3]. وعندما طلب منه النزول والتوجه إلى برج لامالغ أحس الأمير بالخديعة[4].

شعر الأمير بالخيبة لما عرف أن الفرنسيين أخلفوا وعدهم، عندها تمنى الاستشهاد في ساحة الوغى على أن يحدث له ذلك، وقد عبّر عن أسفه هذا بهذه الكلمات «لو كنا نعلم أن الحال يؤول إلى ما إليه آل، لم نترك القتال حتى تنقضي منا الآجال»[5]. وقد قيل له أن إقامته في طولون مؤقتة لحين الاتفاق مع الحكومة العثمانية أو مع والي مصر.

كانت يوميات الأمير في طولون متشابهة: يستيقظ لصلاة الفجر بعدها يذهب ليسلم على والدته ثم يمكث ساعة بين أهله ويَقدم إليه أتباعه للسلام والاطمئنان على أحواله، ثم يقضي بعض الوقت مع ولديه محمد ومُحي الدين، وفي حدود الحادية

1- سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930)، ج2، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص 46.

2- لاموريسيار: La Moricière (Christophe-Louis-Léon Juchault de) (1800-1865)جنرال فرنسي شارك في الحملة الفرنسية على الجزائر، عين على رأس فرقة الزواوة العاملة في جيش الاحتلال الفرنسي عرف عنه تقربه من القبائل العربية لاستمالتهم وكان يحسن العربية. عمل تحت قيادة بيجو. حارب الأمير وفاوضه على شروط التسليم. انظر:

Narcisse, op.cit., pp.355-362.

3- طولون:(Toulon) مدينة جنوب شرق باريس على بعد 840 كلم قاعدة بحرية وتجارية على ضفة البحر المتوسط. انظر:

Petit Larousse en couleurs, librairie Larousse, édition 1986, paris, septembre1985, p.1603.

4- محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج2، الإسكندرية 1903، ص 5.

5- نفسه، ص 6.

عشر يتناول الأمير وجبة الغداء ثم يجتمع الجميع لأداء صلاة الظهر وبين الظهر والعصر يستقبل زائريه أو يتفرغ للدراسة وبعد صلاة العصر تقام حلقة درس يلقيها الأمير أو مصطفى بن التهامي[1] وفي حدود الساعة الساسة يقوم الأمير بتفقد أهله وبعد صلاة المغرب تقام حلقة لتلاوة القرآن(الراتب) وبعد صلاة العِشاء والعَشاء يجتمع مع خلصائه لغاية العاشرة أو الحادية عشر.[2]

وطيلة إقامته بطولون ظل الأمير ينتظر ساعة الفرج دون أن تأتي. وقد عرض عليه الجنرال دوماس[3] الإقامة الدائمة بفرنسا مقابل التخلي عن الاتفاق الذي تم بينه وبين لاموريسيار والدوق دومال[4]، إلا أن الأمير رفض المساومة.

ومن الحين للآخر كانت بعض الشخصيات الرسمية تزوره لتُطمئِنه على مصيره وتقدم له مبررات تأخير إطلاق سراحه. وبعد قيام ثورة فيفري 1848 زاره السيد أوليفي ممثل[5] عن الحكومة المؤقتة مؤكدا له نية النظام الجديد في إبقائه أسيرا بداعي الخوف من عودته للجزائر[1].

1- السيد الحاج مصطفى بن أحمد بن التهامي ولد سنه 1796. كان أحد المقربين من الأمير وصهرا له، رافقه بالسجن بفرنسا ثم رحل معه إلى المشرق. انظر:

الأمير عبد القادر، مذكرات الأمير عبد القادر سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة 1849، تح محمد الصغير بناني وآخرون، دار الأمة، 1995، ص 166(هـ).

2 – Alexander Bellemare, Abd-el-kader sa vie politique et militaire, Librairie de L. Hachette et Cie, Paris, 1863, p. 349.

3- أوجين دوماس: Daumas (Melchior-Joseph-Eugène) (1803–1871) جنرال فرنسي، حارب في الجزائر تحت إمرة الجنرال كلوزيل اهتم بدراسة اللغة العربية. تولى عدة مناصب تتعلق بالشؤون الأهلية. عين قنصلا لدى الأمير عبد القادر(1837–1839) ورافقه إلى سجن لامالغ بطولون. انظر:

- Narcisse, op.cit., pp.196-197.

4- هنري أوجين:(1822–1897) Aumale (Henri-Eugène, duc d'). الإبن الرابع لملك فرنسا، قاد فرقة المدية التي باغتت سكان الزمالة في غياب الأمير. عين حاكما عاما للجزائر خلفا للجنرال بيجو أعطى وعدا للأمير بالسماح له بالتوجه إلى المشرق. نفي مع العائلة الملكية بعد ثورة 1848. انظر:

- ibid., pp.24-30.

5- إيميل أوليفي(Emile Ollivier) كان من المدافعين عن إطلاق سراح الأمير وبعث بهذا الشأن رسالة إلى الحكومة المؤقتة. انظر:

وراسل الأمير الحكومة الجديدة طالبا منها الوفاء بالعهد وتنفيذ شروط الاتفاق الذي على أساسه تم انهاء مسيرته الجهادية دون أن يظهر الندم لمحاربته لفرنسا ولكن الرد كان مخيبا للآمال لأن مضمونه يقول أن«الجمهورية لا ترى نفسها مقيدة بأي التزام لعبد القادر..»[2].

ولما اكتمل عدد المعتقلين من أفراد عائلته وأعوانه نقل الأمير إلى مدينة بو[3] نهاية شهر أفريل من نفس العام، حيث شُدّدت عليه الحراسة بعد انتشار شائعات مفادها أن عملاء انجليز يخططون لتهريبه[4]. وفي هذه الأثناء أُستدعي لاموريسيار لتولي وزارة الحربية فانتعش أمل الأمير في إطلاق سراحه وأرسل له رسالة يذكّره بوعده ويطلب منه توضيح الغموض السائد لدى الرأي العام الفرنسي حول مسألة تسليمه واستئمانه. وظن الأمير أن الرجل سيفعلها إنقاذا لشرفه الشخصي وشرف الأمة الفرنسية، ولكن يبدو أنه لم يكن في فرنسا في ذلك الوقت – على الأقل بين من بيدهم مقاليد الحكم– من يعرف للعهد أو الشرف معنىً. ونتيجة اليأس الذي أصاب مرافقي الأمير فكروا في عملية تمرد ضد سجانيهم لكن العملية أجهضت، فتقرر بعدها نقل «المساجين» إلى قلعة أمبواز(Amboise)[5] وهي قلعة شديدة التحصين وأصبحت زيارة الأمير ومن معه لا تتم إلا بترخيص خاص من وزارة الحربية وقد وقّع هذا الأمر(القرار) لاموريسيار نفسه[6].

Marie d'Aire (née Boissonnet), Abd-el-Kader : quelques documents nouveaux lus et approuvés par l'officier en mission auprès de l'émir, Imprimerie Yvert & Tellier, Amiens, France, 1900, p.75.

1– محمد بن عبد القادر، مصدر سابق، ص 9.

2– شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، 1974، ص 254.

3– بو: (Pau) مدينة تقع على نهر بو. 751 كلم إلى الجنوب الغربي من باريس. بها قصور تعود للقرنين الثالث عشر والخامس عشر. انظر: Petit Larousse en couleurs, op.cit, p.1471.

4– تشرشل مصدر سابق، ص 257.

5– مدينة فرنسية في منطقة وسط فرنسا تقع إلى الجنوب من باريس على نهر اللوار اشتهرت بقصورها التي تعود إلى عصر النهضة. انظر: Petit Larousse en couleurs, op.cit, p.1016.

6 – Bellemare, op.cit., p. 370.

بعد شهر من وصول الأمير ومرافقيه إلى أمبواز أُنتخب الأمير لويس نابليون[1] رئيسا لفرنسا وتمت مناقشة مسألة تحرير الأسير دون الوصول إلى القرار الحاسم. فكتب بيجو إلى الأمير يقترح عليه أن يقبل بالعيش هو وأتباعه في فرنسا مع تمليكم الأراضي والقصور[2] وغيرها من المغريات[3] لكن الأمير الذي لم تعرف نفسه الهزيمة انتصر مرة أخرى على فرنسا وأصر على تنفيذ الاتفاق الأول.

إن هذا الإلحاح من السلطات الفرنسية على تخلي الأمير عن شروطه إنما يعود إلى شعورها بالحرج جراء نكثها للعهد من جهة ورغبتها في تحطيم معنويات الشعب الجزائري ودفعه للاستسلام من جهة أخرى، وهي نفس الغاية التي كانت ترمي إليها جل الكتابات الفرنسية عن الأمير.

مكث الأمير عبد القادر في الأسر ما يقارب الخمس سنوات ذاق فيه مختلف أنواع الإهانات والإذلال، وقد توفي عدد من أقاربه الذين كانوا معه خلال ذلك الوقت جراء المرض و البرد وظروف السجن[4]. لقد حاولت الحكومة الفرنسية تهدئة روع الأمير الذي بلغ اليأس منه مبلغا عظيما عندما أيقن أن الحكومة الفرنسية قررت

---

1 –لويس نابليون بونابرت (1808 ــ 1873)، إمبراطور الفرنسيين (1852 ــ 1870) قضى صباه وشبابه في سويسرا وإيطاليا. حاول مرتين (1836 و 1840) المناداة بنفسه إمبراطوراً على فرنسا، ففشل وحكم عليه =بالسجن مدى الحياة 1840، ولكنه تمكن من الفرار إلى إنجلترا. ثم عاد إلى فرنسا عقب اندلاع ثورة فبراير 1848، وانتخب عضواً في الجمعية الوطنية، ثم رئيساً للجمهورية الثانية (ديسمبر 1848). وسع سلطاته تدريجياً. وفي نوفمبر 1852 أُعلن إمبراطورا بعد استفتاء شعبي. اتسم حكمه بالدكتاتورية، عرف بالمغامرات الاستعمارية مثل الاستيلاء على منطقة كوشنشين الفيتنامية، وإرساله حملة إلى المكسيك (1861 ــ 1866) في محاولته إنشاء إمبراطورية مكسيكية تدور في فلك فرنسا. واشتركت فرنسا في عهده في حرب القرم (1854 ــ 1856). ساعد الايطاليين في حربهم ضد النمسا وحصل مقابل ذلك على سافوا ونيس. انهزم جيشه أمام بسمارك فاستسلم له فثارت باريس وخلعه الثوار فتوجه إلى بريطانيا حيث توفي هناك في 1873. انظر:

Petit Larousse en couleurs, op.cit, p.1432.

2– عبد الباقي مفتاح، لمحات من تصوف الأمير عبد القادر، مجلة أخبار معسكر، مرجع سابق.

3– لمزيد من التفاصيل عن محتوى الرسالة انظر:

– تشرشل، مصدر سابق، ص 263–264. – و Bellemare, op.cit., p. 373.

4– سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، دار البصائر، الجزائر، (د ت) ص 532.

إبقاءه سجينا فأرسلت اليه بعض الوجوه المألوفة لديه كالجنرال دوماس والقبطان بواسوني[1] وكلاهما كان قد عمل بالجزائر و كانا يتمتعان بتجربة طويلة في التواصل مع العرب[2] بالإضافة إلى معرفتهما للغة العربية[3]. كما رتبت زيارة محمد الشاذلي القسنطيني[4] له وللغرض نفسه على الأقل ظاهريا (حسب الدكتور سعد الله)[5].

وفي 16 اكتوبر 1852م وفي طريق عودته من بوردو إلى باريس قام نابليون الثالث بزيارة مفاجئة للأمير، وأبلغه بنفسه[6] قرار إطلاق سراحه، ثم استقبله في باريس وأكرم نزله، وأقام له المآدب الفاخرة ليقابل وزراء ووجهاء فرنسا،«ولم يزل في عز واحترام وجلالة وإعظام. يدور حيث شاء ويجتمع مع الأكابر والعظماء»[7] ويتناول كافة الشؤون السياسية والعسكرية والعلمية، مما أثار إعجاب

1- بواسوني: (Boissonnet Laurant Estève) بارون من عائلة أرستقراطية ولد في باريس في:(19 جوان 1811م)، أصبح ضابطا في المدفعية، و تولى في قسنطينة شؤون المكتب العربي و إدارة الشؤون الأهلية من =سنة 1843 إلى سنة 1948. كسب صداقة كثير من أعيان الجزائر منهم محمد الشاذلي القسنطيني والأمير عبد القادر، بدأ حياته العملية سنة 1848م بكتابة أشعار الأمير و تنظيماته العسكرية، كان عارفا باللغة العربية و لهذا رشح من طرف الدوق دومال لمرافقة الأمير إلى فرنسا و كذلك بعدها للمشرق. انظر:

-سعد الله، محمد الشاذلي القسنطيني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 20.

و - François Pouillon, Dictionnaire des orientalistes de langue française, éditions IISMM-Karthala, 2008, p.119.

2- يزعم بليمار -بكل ثقة- أن سلوك الأمير تجاه نصارى الشام في فتنة الستين إنما جاء نتيجة تأثير بواسوني ودوماس عليه اثناء سجنه بفرنسا! ونسي أن المسلمين قد تعايشوا قرونا مع النصارى قبل أن يعرفوا الفرنجة، كما تجاهل معاملة الأمير للأسرى الفرنسيين أثناء مقاومته للاحتلال. انظر: Bellemare, op.cit., p. 349.

3- ibid.

4- محمد بن الحاج محمد بن ابراهيم الصولي(1807-1877) الشهير بالشاذلي القسنطيني أديب وفقيه جزائري نشأ في قسنطينة وبها درس الفقه والحديث واللغة والحساب. شهد دخول الفرنسيين للمدينة. وبعد استقرارهم بها عين قاضيا مالكيا سافر عدة مرات إلى أوربا وآنس في إحداها الأمير عبد القادر في سجنه بأمبواز (1849-1850). انظر:

- سعد الله، محمد الشاذلي القسنطيني، مرجع سابق، ص 15-21.

5- نفسه، ص 34.

6 -Civray Eugène de (Cte) - Napoléon III et Abd-el-Kader, Charlemagne et Witiking, étude historique et politique, Biographie de l'émir, P. Martinon, libraire-éditeur, Paris, 1853,p.321.

7- عبد الرزاق البيطار، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ج2، دار صادر، بيروت، 1993، ص893.

الجميع بذكائه وخبرته[1]. وزار الأمير معالم العاصمة الفرنسية وأظهر إعجابه بما شاهد ثم كانت زيارة وداع وشكر للإمبراطور. وفي الحادي عشر من ديسمبر 1852 غادر الأمير فرنسا متجها نحو الشرق.[2]

4- الوضع العام في فرنسا (1848-1870):

في24 فيفري 1848 وقعت ثورة في فرنسا ضد ملكية لويس فيليب كما سبقت الإشارة إليها، ولم تؤد الثورة إلى سقوط الملك أو عزله فقط بل إلى تغيير النظام كلّه إذ تحوّل من الملكية إلى الجمهورية الثانية[3]، وتأثرت الثورة بالفكر اليساري الذي كانت تحمله حركة اشتراكية قوية نتجت بسبب ما خلفته الحروب النابليونية وآثارها من أزمة اقتصادية وعجز كبير في خزينة الدولة[4]، وكان من أبرز زعمائها الشاعر لامارتين[5] والكاتب لوي بلان[6] الذي فشل في مشروعه للقضاء على البطالة[7].

1- محمد بن عبد القادر، مصدر سابق، ص 38.

2- تشرشل، مصدر سابق، ص 271.

3 – سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930)، ج2، مرجع سابق، ص 33.

4 –عبد العزيز سليمان نوار وعبد المجيد نعنعي، التاريخ المعاصر أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، دار النهضة العربية، بيروت،(د ت)، ص 203.

5 –الفونس دي لامارتين (Alphonse de Lamartine)؛ (1797-1869) شاعر فرنسي ولد في مدينة ماكون؛ نشر أولى مجموعاته الشعرية عام 1820 تحت عنوان: «تأملات شعرية» وكسب بها شهرة كبيرة. أصبح عضوا في الحكومة المؤقتة ووزيرا للشؤون الخارجية في 1848. ترشح لانتخابات الرئاسة في ديسمبر 1848 وكان أكبر الخاسرين. انظر:

Pouillon, op.cit , p.553.

6 –لوي بلان(Louis Blanc) مؤرخ وسياسي فرنسي، ولد بمدريد (1811-1882). أعتنق المبادئ الاشتراكية، ساهم بمقالاته حول «تنظيم العمل» في سقوط ملكية جويلية. أصبح عضوا في الحكومة المؤقتة في فيفري 1848، غادر فرنسا ليعود اليها في 1870. انظر:

Petit Larousse en couleurs, op.cit, p.1076.

7 –آرثر جيمس جرانت وهارولد تمبرلي، أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين 1789-1950، ج1، تر بهاء فهمي، مؤسسة سجل العرب، ط6، القاهرة، (د ت)، ص285.

أُنتخب لويس نابليون كرئيس للجمهورية من طرف الجمعية الوطنية الفرنسية في شهر ديسمبر 1848[1]، فلم يكن هناك- في نظر الفرنسيين- أفضل من هذا الرجل لتولي هذه المهمة لأنه ابن أخ بطل و«معبود» فرنسا، فرأى الشعب الفرنسي فيه امتدادا لعمه[2]، مما جعله يشعر بالقوة، فعمل تدريجيا على حصر جميع السلطات في يده، وتخلّص من خصومه، وعمل على كسب ولاء الجيش والشرطة وكبار المسؤولين في الدولة، وفي شهر ديسمبر 1952 ألغى النظام الجمهوري وأنشأ الإمبراطورية الثانية التي تربّع على عرشها إلى غاية اِنهزام جيشه في معركة سيدان(Sedan)[3]، وأسره من طرف الجيش البروسي سنة 1870[4].

لقد ساعدت الظروف الداخلية لفرنسا على بروز نجم الأمير لويس نابليون، ونظر الشعب الفرنسي إليه على أنه المخلص له من حكم فاسد عجز عن حل المشاكل الاجتماعية التي كان يعاني منها؛ كالبطالة وتدهور المداخيل واتساع الهوة بين طبقات المجتمع[5].

---

1 -فاز لويس نابليون بخمسة ملايين ونصف مليون صوت وحصل الجنرال كافنياك على مليون ونصف المليون صوت وحاز وليدرو رولان 370 ألف صوت بينما لم ينل الشاعر لامارتين سوى 17 ألف صوت. انظر:
-جرانت وتمبرلي، مرجع سابق، ص 286.

2 -محمد عبد الستار البدري، نابليون الثالث ودروس للشعوب، جريدة الشرق الأوسط، ع 11973، 9 سبتمبر 2011.

3 -مدينة فرنسية، مقر بلدية في منطقة الأردان، بها مصانع للنسيج والحديد، شهدت هزيمة واستسلام نابليون الثالث في 2 سبتمبر 1870. كانت النقطة التي توغلت منها القوات الألمانية نحو الغرب سنة 1940. انظر:
Petit Larousse en couleurs, op.cit, p.1556.

4- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 126.

5 -عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى الحرب العالمية الثانية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999، ص 330.

كما أن ذكريات نابليون بونابرت[1] كانت لا تزال تهزّ مشاعر الفرنسيين، فذكروا أمجاده الحربية وانتصاراته السياسية، وأشاد بذكرها الشعراء والأدباء منهم الكاتب المعروف (فيكتور هيجو)[2]، وذكروا كيف سلم نفسه للشرف البريطاني الذي غدر به حين رمى به إلى جزيرة سانت هيلانة[3] حيث توفي هناك[4]، هزتهم كل هذه المشاعر «فاستمعوا إلى هاتف من بيت نابليون يطالب بالعرش وهو لويس بونابرت»[5].

1 –نابليون بونابرت Napoléon Bonaparte (1769–1821) إمبراطور فرنسا (1804–1815)، وُلد في جزيرة كورسيكا. عُين برتبة ملازم أول في سلاح المدفعية. وفي سنة 1799 تقلّد منصب القنصل الملكي. وبعد خمس سنوات أعلنه مجلس الشيوخ الفرنسي إمبراطورًا. خاضت الإمبراطورية الفرنسية نزاعات عدّة مع أوروبا خلال فترة حكمه، عُرفت باسم الحروب النابليونية، أحرز نابليون خلالها انتصارات باهرة، لكن الدول الأوروبية تحالفت ضده وهزمته في معركة (الأمم) سنة 1813 ثم في معركة واترلو سنة 1815 نفي بعدها إلى جزيرة سانت هيلانة حيث توفي هناك. انظر:

–ج ج باكسون،(إع) موسوعة مشاهير العالم، ج3، دار الصداقة العربية، بيروت، ط1، 2002 ص 10–17.

2 –فيكتور هيجو Victor Hugo (1802–1885) شاعر وروائي وفيلسوف ومفكر فرنسي ولد في بيزانسون بفرنسا عام 1802، لم يحظ بدراسة حقيقية منتظمة، كتب أولى قصائده وهو في سن الرابعة عشر، ثم ما لبث أن اشتهر بإصداره لديوانه الأول (أغاني .. وقصائد أخرى)، نفي سنة 1851 بعد الإنقلاب على الجمهورية الثانية ولم يعد حتى سنة 1871. من مؤلفاته الشعرية: الشرقيات، أوراق الخريف، ملحمة الأجيال، والنثرية: سيدة باريس، البؤساء، أحدب نوتردام. انظر:

–مجدي سيد عبد العزيز(إع)، موسوعة المشاهير، ك 2، دار الأمين، القاهرة، ط1، 1996. ص 55–61.

3 –جزيرة بريطانية في جنوب المحيط الأطلسي عرفت بكونها أرض المنفى لنابليون بونابرت.

من ويكيبيديا الموسوعة الحرة: http://fr.wikipedia.org/wiki/%C3%8Ele_Sainte-H%C3%A9l%C3%A8ne

4 –نفس القصة حدثت مع الأمير عبد القادر فملَكية لويس فيليب غدرت به بعد أن أعطته وعد شرف بالسماح له بالتوجه إلى الوجهة التي أرادها، بينما هو على العكس ظل وفيا للعهد الذي أعطاه لنابليون الثالث بعد إطلاق سراحه.

5 –زينب عصمت راشد، تاريخ أوروبا الحديث في القرن التاسع عشر، دار الفكر العربي، (د ت)، ص301.

لقد كانت السنوات الأولى لحكمه سنوات رغد وإنجازات، فوضع خططا لتطوير الصناعات وشجع الاستثمار ونظم الضرائب[1]. ولكنه اتبع سياسة متشددة في مجال الحريات، بدأت بالرقابة على الصحف والكتب ثم تحولت إلى الرقابة على المعارضين السياسيين إلى أن أصبح نظامه ديكتاتوريا بكل ما تعنيه الكلمة، فضجت السجون بالمعارضين، وشُدِّدت الرقابة على التجمعات والفكر والإعلام والرأي، وأصدر نابليون الثالث مراسيم لنفي بعض معارضيه إلى الخارج ومنهم الشاعر فيكتور هيجو[2].

أما في مجال السياسة الخارجية فقد انشغل الإمبراطور في البداية بالمسألتين الشرقية والإيطالية، وكان يحركه الطموح الكبير الذي راود عمه في تأسيس إمبراطورية واسعة؛ ومنها جعل البحر المتوسط بحيرة فرنسية[3]. والواقع أن هذا التحرك تجاه العالم العربي – والذي يدخل في إطار السياسة الاستعمارية ويعرف عند الفرنسيين بـــ«السياسة العربية»–لم يكن نابليون الثالث هو السبّاق إليه، فقد سبق وإن حاول عمه نابليون بونابرت تجسيد المشروع من خلال حملته على مصر[4]. «وكانت سياسته نابليون الثالث تجاه العالم العربي والإسلامي متكاملة. وهي سياسة مرتكزة على مبادئ بسيطة: كضرورة الوفاق الفرنسي–البريطاني، وصداقة العالم

1 –البدري، مقال سابق.

2– Adolphe Granier de Cassagnac, Souvenirs du second Empire, E. Dentu, libraire-éditeur, Paris, 1881, pp. 69-92.

3 – René Pillorget, les deux voyages de Napoléon III en Algérie (1860 et 1865), Revue du Souvenir Napoléonien, n° 363, Année 1989, pp 30-36.

4– Gérald Arboit, le second empire et le Machrek, Revue du Souvenir Napoléonien, n°433, Année: 2001, p.39.

الإسلامي، وخيار التواجد الاقتصادي أكثر من العسكري وذلك بفضل حيوية الرأسمالية التي كانت تشهد توسعا كبيراً»[1].

لقد ساعدت الأوضاع المستقرة في أوروبا نابليون الثالث على الاهتمام بمشروعه الطموح في إنشاء إمبراطورية فرنسية مترامية الأطراف تكون «المملكة العربية»[2] الحيز الأكبر فيها.

وتكاد تجمع مجمل الكتابات التي أرخت للاستعمار الفرنسي في ظل الإمبراطورية الثانية، على أن الجزائر قد حظيت بمكانة خاصة لدى نابليون الثالث، لعل أكثرها دلالة قيامه بزيارتين إليها عامي(1860 و1865)[3].

وفي الأخير يمكن القول أن مشروعه لتولية الأمير عبد القادر على بلاد الشام-والذي سنتحدث عنه في الفصل الثاني- يدخل في هذا الإطار ويندرج ضمن هذه السياسة.

1 -جاك فريمو، فرنسا والإسلام من نابليون إلى ميتران، تر هاشم صالح، ط1، دار قرطبة للنشر والتوثيق والأبحاث، دار الأرض للنشر المحدودة، قبرص،1991، ص 87.

2 -Georges Spillmann, le royaume arabe d' Algérie, Revue du Souvenir Napoléonien, n°266, oct. 1972, p.15-19.

3 -امحمد مالكي، الحركات الوطنية والاستعمار بالمغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1994، ص، 167.



الفصل الأول:

انتقال الأمير إلى المشرق

(1860 – 1852)



انتقال الأمير إلى المشرق(1852 – 1860م).

1. الأمير في الأناضول (1852 – 1856م).
   - إلى بورسة عبر اسطنبول.
   - مرافقو الأمير.
   - نشاط الأمير في بورسة.
   - حرب القرم وزيارة الأمير لفرنسا.
2. الأمير من استقراره بالشام (1856) إلـــى فتنة الستين (1860م).
3. المجتمع الشامي والسلطة العثمانية.
   - بلاد الشام: الجغرافيا والتاريخ.
   - التقسيمات الإدارية العثمانية.
   - علاقة السكان بالولاة العثمانيين.

1.الأمير في الأناضول (1852 – 1856م):

كانت الحكومة الفرنسية قد أقرت منح الأمير راتباً سنوياً قدره 100.000 فرنك فرنسي[1]، كتعويض على أملاكه وأملاك العائلة التي استولت عليها، فقبل الأمير التعويض. وكان الأمير قد أخذ على نفسه عهدا ولفرنسا[2] وعدا بألاّ يقاتل مجددا ضدها[3].

وفي الشام تهيأت للأمير الظروف التي بوأته مكانة عالمية لم يرق لها أي زعيم عربي خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر على الأقل وسنعود للحديث عنها لاحقا.

إلى بورسة عبر اسطنبول:

في الواحد والعشرين من شهر ديسمبر من عام 1852 م غادر الأمير عبد القادر فرنسا على ظهر سفينة فرنسية تسمى «لابرادور» متجها نحو تركيا، وفي طريقها توقفت السفينة في جزيرة صقيلة، فاستقبل الأمير من قبل حاكمها الذي جال به في البلاد[4]، فقد كان صيته شائعا ورُحب به أينما حل أو ارتحل وعُومل معاملة الملوك.

وصل الأمير الآستانة عن طريق صقلية، فدخلها يوم الجمعة 28 ربيع الأول 1269هــ/8 يناير 1853م.[5] وكان مصحوبا بالضابط بواسوني ولأول مرة منذ

1 – Baptistin Poujoulat, La Vérité sur la Syrie et l’expédition française, Paris, Gaume frères et J. Duprey Éditeurs, Paris, 1861, p.426.

2 – تشرشل، مصدر سابق، ص 268.

3 –حسب سعد الله فان هذا ما روجته الدوائر الاستعمارية الفرنسية لكن ما جاء في الرسالة ليس سوى التعهد لنابليون بحفظ العهد والاعتراف بالفضل على تسريحه إياه وعدم الرجوع إلى الجزائر. انظر:

– سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ص 536.

4 –- تشرشل، مصدر سابق، ص 272.

5 – محمد بن عبد القادر، مصدر سابق، ص 51.

خمس سنوات وطئت قدماه أرضا إسلامية، وأول ما قام به هو توجهه إلى مسجد منطقة توب خانة (Tophané)[1] فصلى ركعتين شكرا لله وهي سنة يؤديها المسلمون عند دخول بلدة أو الرجوع من السفر.

كما قام فور وصوله بالتوجه لزيارة ضريح الصحابي الجليـــل أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري[2] (رضي الله عنه) عند سور القسطنطينية، ولما فرغ منها توجـــه إلى جامع صوفيا، فزاره وقابل الصدر الأعظم مصطفى رشيد باشا الذي أكرمه وأحسن استقباله[3].

وقام في اليوم الثاني بزيارة القنصل الفرنسي بالعاصمة العثمانية دولافييـــت[4] ليبلغه شكره وامتنانه للإمبراطور نابليون الثالث على العناية التي أحاطه بها منذ خروجه من السجن.

وفي يومه الثالث دعي لمقابلة السلطان عبد المجيد الذي رحب بالأمير شاكرا أفعاله وخصاله في الذود عن الدين والوطن، ولم يبخل الأمير على السلطان بما كانت تجود به قريحته من شعر بليغ فامتدحه بقصــــــيدة طويلة عدد فيها مناقب

1– Bellemare, op.cit, p. 407.

2 –أبو أيوب الأنصاري: (ت 669هــ) صحابي، وواحد من أتقياء المسلمين. نزل الرسول ﷺ بداره عند الهجرة. شهد العقبة وبدرا وأحدا والخندق. ألح بالرغم من تقدم سنه، على اللحاق بحملة يزيد بن عبد الملك لفتح القسطنطينية سنة 669م، ومات في أثناء الحصار، ودفن عند أحد أبواب المدينة. نسجت الأقاصيص حول انتصاراته، ولا سيما عند العثمانيين سنة 1453 فكان شعارهم عند الفتح: «لبيك أبا أيوب».

أنظر: نصار وآخرون، م 1، مرجع سابق ص 54.

3 – محمد بن عبد القادر، مصدر سابق، ص 53.

4 –لافييت: (Charles-jean-marie-félix,marquis de) La valette، (1806–1881م)، ديبلوماسي وسناتور فرنسي تقلد عدة مناصب دبلوماسية منها القنصل الفرنسي العام في الإسكندرية سنة 1841 وسفير في عدة عواصم أوروبية. عين سفيرا فوق العادة لدى الباب العالي بين (1851 و1853م) وبين فيفري 1860 أوت 1861م. كان له دور في تأزم مسألة الأماكن المقدسة التي أدت إلى حرب القرم. تقلد منصبي وزير الخارجية والداخلية. انظر:

Gustave Vapereau, Dictionnaire universel des contemporains, Volume 2, Hachette et Cie,1870, Paris, p.1072.

ومفاخر آل عثمان وحرصهم على الدفاع على الإسلام وسعيهم للحفاظ على عزته وقوته داعيا له بالنصر[1].

وخلال إقامته القصيرة في الآستانة توافد عليه الكثير من الزوار وكان لكل وفد رغبة وهدف، فهناك الجزائريون الذين سبقوا الأمير إلى المشرق، وهناك العلماء وأعيان الدولة وقناصل وممثلو الدول الأجنبية، كما زاره البريطاني السير هنري تشرشل[2] صاحب المؤلف المشهور«حياة الأمير»[3].

وتجدر الإشارة إلى أن المؤرخين الغربيين يرون أن الأمير استقبل ببرودة في الآستانة -على عكس ما جرى له بفرنسا- ولم تهب الجماهير لملاقاته خاصة وأن صيته ذاع بمقاومته الباسلة لفرنسا طيلة سبعة عشر سنة رافعا لواء الجهاد ضد المستعمر. ولكن صاحب تحفة الزائر يورد عكس ذلك إذ «كان الناس يزدحمون على مشاهدة الأمير أثناء إقامته ورؤيته في الطرقات التي يمر بها ورحاب منازل الوزراء والعظماء التي يقصدها»[4].

والواقع أن الاستقبال الكبير الذي كان يحظى به الأمير في ربوع فرنسا يُفسّر، في اعتقادنا، على النحو التالي، بالنسبة للاستقبال الرسمي من قبل السلطات الفرنسية جاء تماشيا مع رغبة الإمبراطور نفسه الذي أراد أن يكفر عن الغدر ونكث العهد الذي عانى منه الأمير والذي تسببت فيه الحكومة الفرنسية السابقة، وكذلك من أجل كسب ود الأمير وضمان عدم عودته مرة أخرى لقتال فرنسا، خاصة وأن نابليون -ومعه الكثير من الفرنسيين- يدركون مدى قوة الأمير وقدرته على تجميع

1 - محمد بن عبد القادر، مصدر سابق، ص 51.

2 -هو الكولونيل تشارلز هنري تشرشل، قدم إلى لبنان سنة 1842 م على رأس هيئة أطلق عليها إسم البعثة البريطانية في سورية. واشترى قرية بحوارة وبنى بها بيتا. وهو ينتسب إلى أسرة تشرشل المشهورة. توفي ببيروت سنة 1869. أنظر:

-نزار إباضة، الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1994، ص 15.

3 -تشرشل، مصدر سابق، ص 13.

4 - محمد بن عبد القادر، مصدر سابق، ص 53.

أنصاره والعودة للقتال مجددا، وفعلا نجح الإمبراطور في هذا الأمر، فالأمير ظل طوال حياته يذكر إحسان نابليون له، فحافظ على العهد الذي قطعه على نفسه وقدمه وثيقة مكتوبة للإمبراطور. وأما عن الاستقبال الشعبي فلا يعدو أن يكون مجرد فضول لرؤية عدو سابق لفرنسا[1] سمعوا الكثير عن شجاعته وعن معاملته الحسنة للأسرى من جنود بلدهم؛ وفي هذا الصدد يقول محمد الشريف ساحلي:«لقد أثار وجود عبد القادر بباريس فضولا هو من القوة بحيث كتبت جريدة انجليزية أخرى: لقد سكتت السياسة أمام الاهتمام الجم الذي أحدثه وجود عبد القادر بباريس.إننا نعلم أنه سيذهب هذا المساء إلى الأوبرا وأن التذاكر ستباع بأسعار خيالية»[2]. كما أَعْزُوه إلى أمر آخر وهو الفارق بين البلدين في ذيوع وانتشار الأخبار والصحافة.

قضى الأمير عشرة أيام في الآستانة، كانت حافلة بالزيارات، تبادل فيها التحيات والأشعار ثم غادرها إلى مدينة بورسة[3] التي وصلها في 7 ربيع الثاني 1229 هـ الموافق لـ17 يناير 1853م[4]. وقد وصلها عن طريق بحر مرمرة[5] وميناء مودانيا، وفي طريقه من الميناء إلى المدينة مر الأمير عبر أراضٍ وافرة البساتين والجداول والزروع فذكرته بالجزائر، خاصة أنه وجد الشبه كثيرا بين هذه

---

1 –تشرشل، مصدر سابق، ص 267.

2 –محمد الشريف ساحلي، الأمير عبد القادر فارس الإيمان، تر محمد يحياتن، منشورات ANEP، الجزائر، 2008، ص 92.

3 –تقع المدينة إلى الجنوب الشرقي من بحر مرمرة، فتحها عثمان بن أورخان عام 1326م، وهي العاصمة القديمة للإمبراطورية العثمانية(1326–1405م) اشتهرت بمساجدها ومبانيها ذات النمط المعماري المتميز بزخارفه كما اشتهرت بمياهها المعدنية وينابيعها الحارة وصناعة الحرير. انظر:

Petit Larousse en couleurs, op.cit, p.1094.

و: بطرس حرفوش وآخرون، المنجد في الأعلام، ط13، دار المشرق، بيروت، 1984، ص 149.

4 –إتيين برونو، عبد القادر الجزائري، تر ميشيل خوري، ط1، دار عطية للنشر، بيروت، دمشق، 1997، ص 281.

5 –بحر يقع شمال غرب تركيا بين آسيا وأوروبا مساحته 11137 كم^2. يصله البوسفور بالبحر الأسود، والدردنيل بالمتوسط، به عدة جزر منها مرمرة والأمراء. انظر:

– نصار وآخرون ، م 6، مرجع سابق، ص 3103.

المناظر وبعض مناظر تلمسان والبليدة، وشد انتباهه عناية سكان المنطقة بالزراعة فعادت به الذكريات إلى أيام الصبا والشباب، خاصة لما نظر الأمير موقع المدينة وأحوازها التي كانت تشبه مدينة تلمسان[1] فجادت قريحته بأبيات شعرية نذكر منها هذا البيت: أما الخيام فإنها كخيامهم *** وأرى نساء الحي غير نسائها[2]

وكانت الاتفاقيّة التي وُقِعت بين نابليون الثالث والسلطان العثماني تقضي بإقامة الأمير في مدينة بورسة، ولعل اختيار المدينة كان بسبب اعتدال مناخها وطيب هوائها ووفرة مياهها المعدنية، كما أن هذه المدينة كانت محط هجرة الكثير من المغاربة الذين عملوا فيها في حقل التجارة[3]. فالأمير إذن سافر من فرنسا إلى الآستانة لأداء واجب الزيارة –خاصة للسلطان وللقنصل الفرنسي– ليستقر في هذه المدينة حيث استقبله خليل باشا صهـــر السلطان بغاية التبجيل وأنزله منزلا كريما[4]، وهذا حسب صاحب تحفة الزائر أما تشرشل فيورد قصة مخالفة تماما لذلك.[5] وكان السلطان قد خصص للأمير داراً كبيرة هناك.

ويبدو أن إجراءات قبض الراتب التي قررت الحكومة الفرنسية منحه للأمير قد تمت بواسطة القنصل الفرنسي في الآستانة. وكان الراتب السنوي الذي خصصه

1– إتيين، مرجع سابق، ص 281.

2 – محمد بن عبد القادر، مصدر سابق، ص 54.

3 –خليل الساحلي، مغاربة في تركيا في أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر، المجلة التاريخية المغربية، ع 3، تونس، جانفي 1975، ص 47–54.

4 –نشأت بينه وبين الأمير صداقة ومودة، وقد كتب له الأمير بعد نقله من بورسة إلى الآستانة رسالة رقيقة بها أبيات شعرية يعبر فيها الأمير عن حزنه على فراقه منها هذين البيتين:

وكان لنا الزمان بكم ضحوكا فصـــار لنا بفقدكم عبوسا

فمن اعتاض عنك فدتك نفسي وكنت بقربكم فرحا أنيسا

انظر:العربي دحو، ديوان الشاعر الأمير عبد القادر الجزائري 1807م–1883م، جم–تح–ش وتق، ط3، منشورات ثالة، الجزائر، 2007، ص 96،95.

5– يورد تشرشل قصة مفادها أن خليل باشا كان ينظر للأمير نظرة ازدراء واحتقار وقال «ماذا! عربي يركب عربة!» في إشارة إلى رفضه تخصيص عربة لتنقل الأمير من الميناء إلى مقر إقامته. أنظر:

تشرشل، مصدر سابق، ص 274.

نابليون للأمير تعويضا عن الإساءة التي تعرّض لها الأمير بنكث الحكومة الفرنسية لعهودها معه، وعن أملاك أسرته التي صادرتها الحكومة الفرنسية في الجزائر، ومنعتهم من حق العودة إليها، وكان الأمير مضطراً للإنفاق على أسرته كلها وعلى مقربيه من الجالية التي كانت معه، وكان هذا الراتب قد اتفق عليه السلطان العثماني مع نابليون ورضي هذا الأخير بدفع هذه الأموال في مقابل أن يتكفّل السلطان ببقاء الأمير في المشرق وعدم عودته إلى الجزائر. وتجدر الإشارة إلى أن السلطان عرض على الأمير أن يخصص له من بيت مال المسلمين مرتبًا شهريًا يفي بحاجته وحاجات من معه، ولكن الأمير اعتذر عن قبول المبلغ وشكر للسلطان كرمه وفضل أن يقتصر على المرتب الذي خصصته له الحكومة الفرنسية.[1] ولعل الأمير رفض المبلغ خوفا من أن هذا الأمر سيحد من حريته.

غير أن الأمير قد عاني بعض الصعوبات المالية نظرا لتأخر وصول الراتب الذي خُصِص له، خاصة وأن إجراءات صرفه كانت طويلة تمر عبر اسطنبول ومنها يوجهها القنصل الفرنسي إلى عدة وسطاء «أنطوان حومي» ثم «شيحا» و«يوسف صيديح» وأخيرا «رفييل ليفي اسلامبولي»،[2] وبذلك لم يصل الراتب حتى منتصف السنة.

كان الأمير في حاجة إلى المال لتدبير شؤونه وشؤون مرافقيه، فالدار التي منحت له من قبل السلطات العثمانية كانت في حاجة إلى الترميم والإصلاح حتى تصبح جاهزة للسكنى وحتى تستوعب العائلة والأتباع، وعشرة من الخيول. وكان المنزل يتألف من طابقين في الأول منهما خمس غرف وبهو وظُلة، ثم شقة واسعة في الطابق الثاني وظُلة أخرى، وفي الحديقة أربعة مناهل ماء وفسحة دار كبرى تطل على المطابخ والحمام[3].

1 –البيطار، مصدر سابق، ص 896.

2 –يبدو أنهم سماسرة يهود.

3 – إتيين، مرجع سابق، ص 282.

مرافقو الأمير:

كان مع الأمير خلال إقامته ببورسة بالإضافة إلى المقربين أفراد من عائلته، ومنهم الأولاد ووالدة الأمير وزوجاته الثلاث، وإخوته وأولادهم، والخدم والأتباع ومنهم ست خادمات وست من الخدم، وكذلك ست موظفين، وبلغت حاشية الأمير مع مرور الوقت نحو مائة شخص وخمس عشر عائلة.[1] وكان الأمير هو المسؤول عنهم جميعا. كان بعض الموظفين قد عينتهم الحكومة الفرنسية ومنهم الضابط بواسوني الذي كان صديقا وملازما للأمير، وكان هو الذي يقوم بشؤونه فيما يتعلق بعلاقته بفرنسا، كان بواسوني-كغيره من الضباط الذين عينتهم الحكومة الفرنسية لمرافقة الأمير-بمثابة جاسوس غير متخفي يراقب كل صغيرة وكبيرة عن الأمير. ولكن الأمير قد استفاد من رفقته -كما استفاد من مرافقيه من الموظفين الفرنسيين خلال فترة سجنه- فقد كانوا يوفرون له بعض الطلبات ومنها الكتب والمراجع ويتوسطون له في شؤون عائلته الكبيرة وبعض أتباعه الذين بقوا في المغرب كأسرى أو الذين كانوا معه في فرنسا.

وقد التحقت به شخصيات أخرى نذكر منهم خليفته السابق أحمد بن ســـالم[2]

1 -نفسه.

2 -أحمد بن سالم: (..-1273هـ/..-1867م) مجاهد اشتهر بشدة البأس وقوة الجأش، وحسن السياسة. كان خليفة للأمير عبد القادر في منطقة القبائل استسلم للفرنسيين في فبراير سنة 1847، نقل إلى الجزائر العاصمة، ثم هاجر إلى المشرق واستقر بدمشق، إلى أن توفي بها. أنظر:

-عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر بيروت، 1980، ص 176.

وكاتبه السيد محمد الحاج الخروبي القلعي[1] والكاتب قدور بن الرويلة[2] كما وصل أيضا إلى بورسة بولاد[3] المترجم العسكري السابق والتحق (بخدمة) الأمير[4].

نشاط الأمير في بورسة:

وبعد استقرار الأمير في المدينة عاد إلى نمط حياته التي كان يحياها في سجنه بفرنسا يوزع وقته بين الصلاة والدراسة وتعليم أولاده والعناية بأنصاره الذين آثروا العيش بقربه في منفاه الجديد[5]. وفي هذا الشأن يقول ابنه محمد:«..ويقرأ فيه الدروس فقرأ علينا ألفية ابن مالك بشرح المكودي والسنوسية بشرح المصنف وإيساغوجي[6] للفناري ويقرأ لنا في الدار الإبريز في مناقب سيدي عبد العزيز الدباغ»[7]. كما كان يقوم بزيارات للمساجد ومقامات الصالحين وكان سخيا مع فقراء المدينة ومساكينها وفي سائر أعمال البر.

---

1 –ابن الخروبي: الحاج محمد بن الخروبي القلعي (...1279 هـ) الكاتب الثاني بديوان الأمير، كان من المقربين للأمير عينه الأمير خليفة له على منطقة سطيف وقع في الأسر وأطلق سراحه فهاجر إلى دمشق ولما قدم الأمير إلى بورسة التحق به وانتقل معه إلى دمشق حيث توفي. انظر:

– الأمير عبد القادر، مذكرات الأمير عبد القادر، مصدر سابق، ص 166(هـ).

2 – نفسه، ص 168.

3 –جورج شارل بولاد (Georges-Charles Bullad) مترجم في الجيش الأفريقي. ولد بمرسيليا في 24 جويلية 1827. كان من الموظفين الذين عينوا لمرافقة الأمير أثناء أسره بفرنسا، شارك في حملة الجنرال بيجو على منطقة القبائل ثم استدعي لمرافقة الأمير إلى بورسة. الحق بوزارة الشؤون الخارجية حيث كلف بمهمة لمراقبة الأمير بين، 1855 و1857. انظر:

Laurent Charles Féraud, Les interprètes de l'armée d'Afrique (archives du corps), A. Jourdan éditeur, Alger, 1876, pp. 343, 344.

4 – إتيين، مرجع سابق، ص 284.

5–Bellemare, op.cit., p. 408.

6 –كتاب في المنطق معروف باسم(المقولات الخمس). ألفه« فرفوريوس» الصوري تلميذ «أفلاطون». وكلمة إيساغوجي يونانية ومعناها «المدخل». انظر:

– حرفوش وآخرون، مرجع سابق، ص 101.

7 – محمد بن عبد القادر، مصدر سابق، ص 54.

وخلال إقامته بمدينة بورسة قام بختان أحد أبنائه، وعلى عكس عادة أعيان العرب في مثل هذه المناسبات لم يقم الأمير وليمة وإنما وزع مصاريف الحفلة على الفقراء والمساكين[1]. ولعل في هذا ردًا على من يقولون أن الأمير كان مسرفا مبذرا للمال، وفي هذا الشأن يقول تشرشل: «بل كان قادرا على أن يغمر بكرمه جهات أخرى. ولم يكن يحتفظ لنفسه ولعائلته بسوى النصف من ذلك المبلغ[2]، أما الباقي فقد وزعه على شكل رواتب على قواده وأتباعه الذين كانوا في حاجة ماسة، وفي شكل صدقات على الفقراء، وهبات إلى المساجد، وغير ذلك من الأعمال الخيرية، كما كان يصرف من دخله على أخويه وعائلتيهما»[3].

كان الأمير يتصرف حيال أتباعه مثلما كان الحال عليه أثناء فترة حكمه في الجزائر يحس دائما بأنه معيلُهم والمسؤول عنهم، من ذلك أنه راسل السلطات الفرنسية بشأن ابنتي الداي حسين يطلب لهما المساعدة فأرسل إلى القنصل الفرنسي في اسطنبول قائلا:

«لي الشرف أن أكتب للسيد «دو لافاييت» بشأن نفيسة بنت حسن[كذا] باشا وبناتها... لم اعرفهن إلا عندما جئن يشرحن لي وضعهن البائس، فليس لديهن ملابس ولا وسائل للعيش، ولا يعرفن كيف يتدبرن أمورهن، وقد احتفظت بهن خشية أن يؤدي بهنّ سوء الحال إلى الرذيلة، وأنا أعتقد أنني بهذا العمل أتمكن من توجيههن في طريق الصلاح.

1 –Bellemare, op.cit. p. 409.

2 –المقصود المبلغ الذي خصصته الحكومة الفرنسية للأمير.

3 –تشرشل، مصدر سابق، ص 275.

عدا عن ذلك فإنني بحاجة إلى من يعرف التركية والعربية ولم أجد هنا من يجيد هاتين اللغتين ويمكنني استخدامه وبإمكاني الاعتماد على هؤلاء الفتيات لمعرفتهن اللغتين»[1].

وأثناء إقامته في بورسة ألف الأمير رسالة (ذكرى العاقل وتنبيه الغافل)، وقد طلبت إليه (الجمعية الآسيوية) بباريس تأليف هذه الرسالة، كانت الجمعية تهتم بالدراسات الشرقية ويشرف عليها مستشرقون فرنسيون، وكان تاريخ تأليف هذه الرسالة في 14 رمضان 1271 هـ الموافق لـ 30 مايو 1855 م[2].

وهي الرسالة التي عرفت أيضا بعنوان (رسالة إلى الفرنسيين)، وهي لم توجه إلى نابليون الثالث وإنما إلى رجل يدعى رينود (Reinaud)[3] رئيس الجمعية الآسيوية المذكورة أعلاه، وهذا مهم لأنه يبين أن الأمير لم يتجه إلى الحكام فقط وإنما اتجه أيضا إلى الشعب الفرنسي عبر مثقفيه[4].

كما كان الأمير يتواصل مع أصدقائه الفرنسيين السابقين خاصة الذين تعاطفوا معه أثناء سجنه بفرنسا ويكتب لهم الرسائل[5] التي تعددت أغراضها (المجاملة، تأمين

1 – إتيين، مرجع سابق، ص 283

2 –عمار طالبي، رسالة إلى الفرنسيين، منشورات (ANEP) الجزائر، 2005، ص 7.

3 –السيد رينود M. Reinaud رئيس المجمع العلمي الآسيوي (Président de la Société Asiatique)، عضو المعهد، وهو باحث محنك، وخبير في الدراسات التاريخية، مطلع على تاريخ الديانات الثلاث، كتب عن الأمير تقريراً أُدرج ضمن مخطوطات المكتبة الملكية. انظر:

عبد القادر شرشار، شخصية الأمير عبد القادر من منظور الآخر ترجمة أشهر مؤلفات الأمير عبد القادر من قبل الباحث الفرنسي جوستاف دوجا، مجلة التراث العربي، ع 90، السنة الثالثة والعشرون–حزيران (يونيو)، دمشق، 2003.

4– Abd-el-Kader, Lettres aux français, Traduction par René R. Khawam , Phébus, Paris,1977, p.11.

5 –عرف عن الأمير كثرة رسائله والتي تعددت اغراضها ووجهاتها. انظر:

–عائشة بن ساعد، البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2003–2004، (غ م)، ص 181–200.

الكتب والمراجع، تسوية المشاكل العالقة والتي تخصه وعائلته أو أتباعه أو حتى البعيدين عنه نسبيا كما كان الحال بالنسبة لابنتي حسين باشا المشار إليهما سالفا).

كما اتخذ خلال إقامته ببورسة ختما كان يختم به كل مراسلاته ووثائقه الرسمية، إذ كان يدرك أهمية ذلك خاصة وأنه سبق وأن ترأس دولة دامت خمس عشر سنة أدار فيها شؤون الحرب والسلم.

لقد كانت نفقات الأمير كثيرة ومتنوعة ولذلك حرص على توفير المال من خلال الاستثمار، فقد اشترى بعض الأراضي خارج المدينة واستغل بعضها لإقامة عدة عائلات من مرافقيه أو الذين التحقوا به، كما وزع عليهم قطعا من الأراضي كانوا يستغلونها في الزراعة كما اشتغل الأمير نفسه بالزراعة وكان يزرع الشعير وأشجار التوت من أجل تربية دودة القز المنتجة للحرير وغرس أنواعا من أشجار الفواكه[1] التي يبدو أنه كان يهوى التجول في ظلالها كما جرب بعض المزروعات الأوروبية بمساعدة عمال بولونيين[2].

حرب القرم وزيارة الأمير لفرنسا:

إلا أن الحدث البارز الذي وقع في الدولة العثمانية غداة انتقال الأمير إليها هو حرب القرم[3]الشهيرة. إذ حاولت روسيا السيطرة على الأقاليم التابعة للدولة العثمانية لاسيما البلقان مستغلة ضعفها. ولم تكن الأهداف الإستراتيجية للسياسة الروسية تجاه

1 – محمد بن عبد القادر، مصدر سابق، ص 62.

2 –إتيين، مرجع سابق، ص285.

3 –حرب القرم(1853-1856م). اندلعت هذه الحرب بين القوات الروسية وجيوش التحالف التي ضمت كلاً من فرنسا والدولة العثمانية وبييدمونت والمملكة المتحدة. وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى شبه جزيرة القرم التي دار فيها معظم القتال. وقد بدأت الحرب بسبب نزاع حول مسألة الإشراف على الأماكن المقدسة في الدولة العثمانية الإسلامية. إلا أن الأسباب البعيدة كانت أكثر تعقيدًا من ذلك. فقد ازداد قلق النمسا وفرنسا والمملكة المتحدة من النوايا الروسية في بلاد البلقان، فصمّمت على إحباط سياسات روسيا التوسعية في المنطقة. انظر:

–إبراهيم بك حليم، الدولة العثمانية العلية المعروف بكتاب التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1988، ص 301.

الدولة العثمانية، تقتصر في السيطرة على المضايق فقط، بل النفوذ إلى البحر المتوسط، والمياه الدافئة[1]، لذلك اتجهت سياستها خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر إلى العمل على إضعافها، بمحاربتها ومساندة الشعوب البلقانية في ثوراتها التحررية ضد الدولة العثمانية، كما أرادت أن يكون لها النفوذ الأكبر في شبه جزيرة البلقان لتؤسس بها دولة سلافية كبرى[2].

وكان الأمير يتابع أطوار الحرب ومجرياتها[3] وكتب قصيدة طويلة من خمسة وأربعين بيتا يدعو فيها بالنصر للسلطان عبد المجيد، وهذا بعض مما جاء فيها:

فانصره نصراً عزيزاً لا نظير لـــه *** حتى يزيد العدى همـــاً وأحزانـــا
واحفظ علاه وأرسل يا كريـــم لـــه *** من الملائـــك حفاظـــاً وأعوانـــا
وانصر به الشرع وارفع يا رؤف به *** عن دينك الحق لا تعدمه برهانـــا
واجمع الهي قلوب المسلمين علـــى *** وداده واعله واعظـــم له شـــانـــا[4]

واعتقد القيصر الروسي في العام 1853 أن بإمكانه طرح قضية إنهاء المسألة الشرقية بصورة جذرية، فعرض على السفير البريطاني في روسيا مشروعا لتقسيم الدولة العثمانية، تأخذ روسيا، بموجبه المضايق وتحتل الآستانة مؤقتا، أما الولايات العثمانية في أوروبا فتتحد في دولة مستقلة، مقابل ذلك تأخذ بريطانيا، مصر ورودس وقبرص[5]، لكن بريطانيا رفضت ذلك المشروع، بالرغم من تكرار

---

1 –نوار ونعنعي، التاريخ المعاصر أوروبا، مرجع سابق، ص 232.

2 –إسماعيل أحمد ياغي، العالم العربي في التاريخ الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض،1997، ص 141.

3 –شارك الجزائريون في هذه الحرب من صفوف القوات الفرنسية وأبلوا بلاء حسنا. انظر:

–Claude Vigoureux, « Napoléon III et Abd-el-Kader », Napoleonica. La Revue, 2009/1 N° 4, pp. 111-143.

4 – محمد بن عبد القادر، مصدر سابق، ص 55.

5– جرانت وتمبرلي، مرجع سابق، ص 359.

عروض روسيا لتقسيم ممتلكات (الرجل المريض)[1]، وهي بذلك تسعى لعزل فرنسا[2]. وعندما عجزت روسيا عن إقناع القوى الأوروبية بمشاريعها لتقسيم ممتلكات الدولة العثمانية افتعلت مشكلة الأماكن المقدسة لتعلن الحرب على السلطان العثماني.

بعد توقف حرب القرم نشر السلطان العثماني عبد المجيد في 12 من جمادى الآخرة 1272 هـ/18 فبراير 1856م، فرمانا عُرف باسم خط همايون وهو مرسوم للإصلاحات جاء بضغط خارجي أقرت فيه الدولة العثمانية بمجموعة من الحقوق للأقليات الدينية في الدولة العثمانية. صدر هذا الخط قبل أسبوع من عقد مؤتمر باريس[3] والذي توج بمعاهدة 1856[4].

أما لماذا وقفت القوى الأوروبية في هذه الحرب إلى جانب الدولة العثمانية وضد روسيا؛ فلأنها كانت ترى في امتداد النفوذ الروسي خطرا على مصالحها. فبريطانيا تريد الإبقاء على الدولة العثمانية وتريد المحافظة على سلامتها ضمانا

---

1 -إن مصطلح (الرجل المريض) ظهر أول مرة عندما أطلقه القيصر الروسي نيقولا الأول (1825- 1855م) أثناء محادثاته مع السفير البريطاني في مدينة بطرسبرغ حيث أعلن صراحة :«إن بين أيدينا رجلاً مريضاً جداً (يعني الدولة العثمانية) يجب الاتفاق على تقسيم ممتلكاته دون حاجة إلى استشارته». انظر:

-عبد الكريم حسان، امتياز سكة حديد برلين- بغداد، جريدة المدى العراقية، ع 1536، 24 ماي 2009.

2 -مصطفى أحمد عبد الرحيم، في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، بيروت، 1986، ص 208.

3 -أكمل الدين إحسان أوغلى، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، تع صالح سعداوي، اسطنبول، 1999، ص 106.

4 -بموجب المعاهدة تخلت روسيا عن بعض الأراضي التي احتلتها من الدولة العثمانية، كما نصت على حياد البحر الأسود وأن تمتنع روسيا عن بناء الحصون حول هذا البحر. للمزيد عن بنود هذه المعاهدة انظر:

-سليم فارس الشدياق، كنز الرغائب في منتخبات الجوائب، ج5، ط1، مطبعة الجوائب، الآستانة، 1297هـ ص 6-15.

لمصالح كثيرة، فضلا عن حرصها على استمرار السلم الأوروبي، وعدم الإخلال بتوازن القوة في أوروبا[1].

أما فرنسا فقد ربطتها بالدولة العثمانية علاقات ودية منذ أن قام السلطان العثماني بإعطاء الرعايا الفرنسيين امتيازات[2] داخل الدولة العثمانية، ومن بينها الإعفاء من الضرائب ومنح الحكومة الفرنسية بعض الحقوق في الأماكن المقدسة في فلسطين، لكن العلاقات الفرنسية العثمانية لم تكن على نسق واحد، فالمنافسة الدولية والأطماع الاستعمارية أدت إلى تذبذب السياسة الفرنسية إزاء الدولة العثمانية فوقفت بجانبها في بعض المواقف، ووقفت ضدها في مواقف أخرى[3]. لكن موقف فرنسا تجاه النزاع الروسي العثماني اختلف عن الموقف البريطاني بسبب اختلاف المصالح الفرنسية، فقد كان الإمبراطور الفرنسي نابليون الثالث، يعتبر بلده طرفا رئيسيا في هذا النزاع، كونه يتطلع إلى كسب تأييد الحزب الكاثوليكي في فرنسا، ويسعى لتحقيق بعض الانتصارات الخارجية من أجل إخراج فرنسا من عزلتها بعد مؤتمر

---

1 –عبر بالمرستون (Palmerston)، وزير الخارجية البريطانية، عن الأسباب التي تدفع بلاده للوقوف إلى جانب السلطنة بالقول: «فإذا كان استقلال تركيا من الناحية السياسية ذا أهمية كبيرة لنا، فإنه (استقلال تركيا) لا يقل أهمية لبريطانيا من الناحية التجارية». أنظر:

–عبد الرؤوف سنّو، النزعات الكيانية الإسلامية في الدولة العثمانية 1877–1881 بلاد الشام–الحجاز–كردستان–ألبانيا، دار بيسان للنشر، بيروت، 1998، ص 54.

2– الامتيازات الأجنبية هي تسهيلات وضمانات كان يتمتع بها رعايا الدول الغربية في مناطق معينة من العالم ولا سيما في الشرق الأوسط وآسيا وكان يسمح بموجب هذه الامتيازات لتلك الدول الغربية بإقامة محاكم خاصة بها في أراضي الدول الأخرى.. وكانت تلك الامتيازات باباً للتدخل الأجنبي وإثارة الفتن الداخلية وخطوة نحو السيطرة الأجنبية. انظر:

–عبد الوهاب الكيلاني، موسوعة السياسة،ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 2، 1990، ص 309–310.

3 –جفري برون، تاريخ أوروبا الحديث، تر علي المزروقي، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2006، ص 506.

فيينا عام 1815؛ كما يمكن اعتبار مسألة توازن القوى في أوروبا من دواعي تدخل فرنسا في هذه الحرب[1].

انتقل الأمير إلى المشرق ليستقر في ضيافة السلطنة العثمانية التي كانت تعاني من ضغوط القوى الأوروبية المتزايدة، وكان الأمير يدرك مدى اختلال التوازن بين الغرب المسيحي المتطور والشرق الإسلامي المتخلف، كما أنه كان يرى أن مصير الدولة العثمانية أصبح مرهونًا بالسياسة الدولية وتوازناتها، وأن مصيرها لا يمكن أن تقرره دولة بمفردها مهما تعاظمت قوتها.

أثناء إقامة الأمير في بورسة تعرضت المدينة في أوت 1855 لزلزال عنيف دمر قسما كبيرا منها واضطر الأمير – كغيره من سكان المدينة – للخروج منها فأقام خلال أيام الزلزال في مزرعته التي كانت خارج المدينة. ولكن الهزات تواصلت لأيام عدة فكانت فرصة الأمير لمفاتحة نابليون والسلطان في شأن تغيير مكان إقامته[2] فطلب الإذن بالسفر إلى باريس فأذن له بذلك فارتحل في صيف 1855 الأول من ذي الحجة عام 1271 هـ أثناء حصار حصن سيباستبول[3]. وأثناء تواجده بباريس وصلت الأخبار عن سقوط الحصن إيذانا بانتصار الحلفاء ونهاية حرب القرم فشارك الفرنسيين في احتفالات النصر وأبدى اهتماما بمتابعة أخبار الحرب[4] التي كانت تهمه نتيجتها، كما حضر المعرض العالمي وأعجب بالمعروضات ومنها بعض المنتوجات الجزائرية[5].

---

1 – Edouard Boinvillies, Revue contemporaine, A12, SER2, T32, Paris, 1863,P.221.

2– تشرشل، مصدر سابق، ص 276.

3– سيباستبول أو سفاستبول: مدينة في شبه جزيرة القرم بأوكرانيا على خليج سفاستبول. قاعدة بحرية وحربية كبرى ونقطة استراتيجية هامة. تقوم بها صناعات متنوعة وبخاصة بناء السفن وتعليب السمك، وطحن الدقيق. قاومت المدينة حصار البريطانيين والفرنسيين والأتراك في حرب القرم لمدة إحدى عشر شهرا (1854–1855)

–أنظر: نصار وآخرون، م 4، مرجع سابق، ص 1842.

4–إتيين، مرجع سابق، ص 286.

5– Bellemare, op.cit., p. 415.

وفاتح الأمير الإمبراطور الفرنسي في مسألة تغيير إقامته وتعلل بأنه لم يطب له المقام في بورسة بسبب كثرة الزلازل، فوافق نابليون على انتقال الأمير إلى دمشق[1].

ولا يذكر صاحب تحفة الزائر مسألة طلب الإذن في تغيير الإقامة من نابليون وإنما يذكر أنه «رفع أمر انتقاله من بورسة إلى دمشق إلى الباب العالي فوافق وصدرت أوامر الدولة العلية إلى محمود نديم باشا والي دمشق أن يستعد لملاقاته وإعداد محل لائق لسكناه»[2].

وبعد عودته من فرنسا مكث الأمير في بورسة الوقت الذي نظم فيها أموره انتقاله إلى دمشق التي مما لاشك فيه أنها أنسب له من بورسة حيث كان يعيش في مجتمع لا يستطيع التواصل معه بسبب عائق اللغة، وقد نظم الأمير قصيدة جميلة يبيّن فيها حزنه على مفارقة هذه المدينة التي عاش فيها ثلاث سنوات وله فيها أطيب الذكريات فقال:

أبى القلبُ أن ينسى المعاهد من بُرْسا *** وحبّي لها، بين الجوانح، قد أرسى

أكلفه سلوانها، وهو مغرمٌ *** فهيهات! أن يسلو وهيهات! أن ينسى.[3]

غادر الأمير مدينة بورسة[4] في الخامس من ربيع الثاني 1472هـ الموافق لـ 15 ديسمبر 1855 متوجها إلى بيروت ومنها إلى دمشق مقر إقامته الجديد والأخير.

1– ibid.

2 – محمد بن عبد القادر، مصدر سابق، ص 65.

3 –الأمير عبد القادر الجزائري، نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر، مؤسسة الأمير عبد القادر، الجزائر، 2001، ص 33.

4 –أصر الأمير أن يصطحب معه جميع الجزائريين الذين التحقوا به في بورسة وكان عددهم 110 رغم معارضة السفير الفرنسي. انظر:

–إتيين، مرجع سابق، ص 288.

2.الأمير من استقراره بالشام(1856)إلى فتنة الستين(1860م):

كان من شروط التسليم التي اشترطها الأمير على القائد الفرنسي «الجنرال لاموريسيار» أن يسمح له، ومن أراد من أتباعه، بالهجرة إلى الإسكندرية أو عكا مقابل وضع حد لمقاومته وإلقاء السلاح[1]. وتلقى وعدًا بذلك فسلّم نفسه في 23 ديسمبر 1847م، كما عرفنا أنه جرى الاتفاق بين نابليون والسلطان العثماني على إقامة الأمير ببورسة، وعلى الرغم أنها لم تكن بالنسبة للأمير خيارا إلا أنه وطّن نفسه على الإقامة الدائمة بها ورأيناه كيف أصلح الدار التي منحت له، وقد استقدم لهدا الغرض مهندسا من اسطنبول، واشترى الأراضي واشتغل بالزراعة وغراسه الأشجار، ولكنه لما أتيحت له فرصة تغيير مكانة إقامته لم يضيعها فطلب الانتقال إلى الشام فكان له ذلك.

وعندما وصل إلى بيروت استقبله السكان هناك بحفاوة كبيرة واصطف الناس على الطرقات لرؤيته وخاصة من جانب أعيان الطائفة الدرزية بجبل لبنان وطلبوا منه الإقامة عندهم فاعتذر شاكرا لهم صنيعهم، وخلال إقامته القصيرة في بيروت نزل ضيفا عند صديقه تشرشل[2] الذي كان يعرف عند السكان بـــ «شرشر بك»، وكان قد صاهر أحد أعيان المنطقة ولبس زيهم[3] واندمج في وسطهم، وهي حيلة لطالما لجأ إليها أمثاله من الجواسيس للتقرب من السكان المحليين لتحقيق مآربهم كالضابط المغامر البريطاني لورنس، (Lawrence) المعروف بـــ(لورنس العرب)[4]

---

1 –الحاج مصطفى بن التهامي، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تح وتق وتعل يحي بوعزيز، دار الغرب الاسلامي،ص 173.

2 – محمد بن عبد القادر، مصدر سابق، ص 65.

3 –كما زوج تشرشل ابنته للأمير الدرزي عبد الله ابن سعد الدين الشهابي. انظر:

–طنوس بن يوسف الشدياق، كتاب أخبار الأعيان في جبل لبنان، بيروت،1859، ص 720.

4 –لورنس، توماس إدوارد(1888–1935) مغامر وجندي وباحث بريطاني. انضم إلى بعثة بريطانية للتنقيب عن الآثار في بلاد ما بين النهرين سنة 1911. تعلم العربية الدارجة، وعند قيام الحرب العالمية الأولى التحق بقسم المخابرات بالجيش البريطاني. انظم سنة 1916 إلى الثورة العربية بقيادة فيصل بن الحسين، عمل على=

وليون روش[1] وغيرهم.

أما دمشق فقد استقبلت الأمير استقبال الفاتحين فخرجت عن بكرة أبيها لملاقاته وكان الاستقبال شعبيا ورسميا كيف لا وقد سبقت الأمير شهرته إلى المدينة وكان على رأس مستقبليه والي دمشق «ومر عبد القادر كأنه فاتح وسط الزحام مسبوقا بفرقة عسكرية تركية وجوقة للموسيقى العسكرية وكان يردُّ بسرور على عبارات التحايا والترحاب.. إنه لم يدخل دمشق عربي على هذا النحو منذ صلاح الدين الأيوبي».[2]

وقد خصص له والي دمشق استقبالا مميزا وخرجت الجموع لملاقاته عند الزبداني[3] ودخل المدينة كأنه قائد مظفر ونزل في قصر السراي القديم.[4]

وفور وصول الأمير إلى المدينة توجه إلى ضريح العارف بالله الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي[5]، وبعد أن زاره وتبرك به توجه إلى المحل المعد لنزوله.

تخريب سكة حديد دمشق–المدينة، نشر عدة مؤلفات منها «ثورة في الصحراء» و«أعمدة الحكمة السبع» اشتهر باسم لورنس العرب، مات في حادث مرور.

انظر: نصار وآخرون، مرجع سابق، م 6، ص 2894–2895.

1 –عمر ولد الروش (Léon roches) أحد الجواسيس الذين دستهم المصالح الفرنسية بين صفوف المقاومة وتسلل إلى أن أصبح من بطانة الأمير فتظاهر بالإسلام وتعلم اللغة العربية وتسمى بعُمر وبعد نقض معاهدة التافنة التحق بالجيوش الفرنسية وعين في مناصب عديدة منها ترجمانا لدي بيجو الذي كلفه بمهام بالمشرق للحصول على فتوى علماء الإسلام بجواز استسلام الجزائريين لفرنسا وبعد ذلك قنصلا لفرنسا بطنجة في الفترة الحاسمة التي تم فيها الانفصال النهائي بين الأمير وملك المغرب وأدت إلى إنهاء الأمير للمقاومة. انظر:

–الأمير عبد القادر، نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص 181.

2 –تشرشل، مصدر سابق، ص 277.

3 –مدينة ومصيف الزبداني، مركز قضاء الزبداني، أحد أعرق مصايف سورية وأقدمها، يتبع محافظة ريف دمشق وعلى بعد 45 كم عن مدينة دمشق. تمتد المدينة في سفوح الجبال وتشرف على سهل رائع هو سهل الزبداني.أنظر: –حرفوش وآخرون، مرجع سابق ص 319.(مع بعض الإضافات).

4 –Revue de l'Orient: bulletin de la Société orientale, mai 1856, 1856/01 (nouv. ser, T3) pp.159,160.

5 –ابن عربي: (1165–1240)، أبو بكر محمد بن علي، صوفي معروف بمذهبه في وحدة الوجود، ويلقب بالشيخ الأكبر، ولد بمرسية، ودرس الفقه والحديث بأشبيلية، وارتحل إلى المشرق. أقام بدمشق وتوفى بها. كان=

ويورد صاحب تحفة الزائر تفاصيل عن الدار التي أقام بها الأمير في دمشق ومدى العناية التي أولتها الدولة العلية لتهيئة الظروف الحسنة لإقامته[1]. ولا شك أن هذه الحفاوة التي لقيَّها الأمير ببلاد الشام هي إرهاصات على المكانة التي سيتبوأها في المنطقة والدور التاريخي الذي ينتظره.

وهكذا وصل الأمير إلى أرض لا يشعر فيها بالغربة-على الأقل غربة اللسان- التي شعر بها طيلة السنين التي قضاها ببورسة، وإذا علمنا أن فكرة الوطنية بمفهومها الحديث لم تتبلور وقتئذ في فكر العرب والمسلمين ومنهم الأمير نفسه وأن الحدود السياسية بين مختلف الأقطار العربية لم ترسم بعد، فإنه شعر أنه في موطنه، فهو في مجتمع عربي مسلم وضمن جالية جزائرية ازدادت أعدادها مع مرور الوقت.

وفي دمشق أصبح الأمير محط اهتمام العلماء والمثقفين، كيف لا وقد جمع بين عراقة النسب وغزارة العلم وشرف الجهاد والرباط في سبيل الله، ولم يمض وقت طويل حتى أدركوا أنه عالم جليل متضلع في مختلف العلوم الشرعية واسع الاطلاع ودارس للفلسفة، وتكونت حلقة درس ديني يومي في الجامع الكبير كان يحضرها الخاصة والعامة، وكان الأمير يعتمد في دروسه على المراجع التي تتألف منها مكتبته الخاصة والتي كان قد أعاد جمعها خلال إقامته في بورسة[2].

ومن أجلِّ الأعمال التي قام بها الأمير عبد القادر بعد وصوله إلى دمشق إعادة شراء دار الحديث التي هي من أبرز معالم المدينة الثقافية وإرجاعها إلى سابق

في العبادات والمعاملات ظاهريًّا، وفي العقائد باطنيًّا، تبلغ مصنفاته المائتين، وأهمها: «الفتوحات المكية» و«فصوص الحكم». أثار عليه الفقهاء فنسبوه إلى الزيغ والضلال. اتهمه ابن تيمية وابن خلدون، وبرّأه الفيروزبادي والرازي والسيوطي.

انظر: نصار وآخرون، مرجع سابق، م 1، ص 40.

1 – محمد بن عبد القادر، مصدر سابق، ص 67.

2 –تشرشل، مصدر سابق، ص 278.

عهدها منارة للعلوم، بعد أن كانت قد صارت إلى ملكية أحد النصارى[1] الذي حولها إلى مخمرة، وبعد شرائها رممها وأصلحها، وجعلها وقفا على أحد مشايخ دمشق وهو الشيخ يوسف بدر الدين المغربي،[2] ودعاه لاستلامها وكان وقتئذ بالمدينة المنورة فحضر الشيخ و«استلم المدرسة، وفي أول رجب سنة 1274هـ افتتح الأمير فيها التدريس بصحيح البخاري»[3].

3.المجتمع الشامي والسلطة العثمانية:

تعتبر بلاد الشام جزءا مهما من منطقة الهلال الخصيب، وكانت تعتبر أهم ولاية عثمانية في البلاد العربية وكان يطلق عليها إسم شام شريف، كما أنها كانت آخر ولاية تنسحب منها القوات العثمانية في الحرب العالمية الأولى.

بلاد الشام: الجغرافيا والتاريخ

بلاد الشام أو الشآم تعني اليسار أو الشمال، بالمقابل مع اليمن (اليمين أو الجنوب) وذلك بالنسبة لأهل الحجاز[4] هي ما تُعرف اليوم بكلٍّ من سورية ولبنان

---

1 –يذكر الأستاذ سهيل الخالدي أنه يهودي واسمه بانكو. انظر:

–سهيل الخالدي، الإشعاع المغربي في المشرق دور الجالية الجزائرية في بلاد الشام، دار الأمة، الجزائر، 1997، ص 84.

2 –يوسف المغربي (المتوفى سنة 1279 هـ، 1862 م)هو: يوسف (الملقب ببدر الدين) بن عبد الرحمن البيباني الشهير بالمغربي: محدّث، له نظم حسن، من فقهاء الشافعية، أصله من مراكش، استوطن دمشق، وتوفي بها، وكان حسن المحاضرة، جريئاً على الحكام، أثنى عليه معاصره البيطار (في تاريخه) وأشار إلى أن له تآليف، منها (شرح مولد الدردير) باسم (فتح القدير على ألفاظ مولد الشهاب الدردير) وله قصيدة سماها (التحديث عن نازلة دار الحديث) في نحو 400 بيت. انظر:

– خير الدين الزِركْلي، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج8، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1980، ص 238.

3 – محمد بن عبد القادر، مصدر سابق، ص 78.

4 –محمد مهران بيومي، بلاد الشام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990، ص 11.

وفلسطين والأردنّ مضافاً إليها قسم من تركيا يقع إلى الشمال الغربي من سورية هو: لواء الإسكندرونة[1].

وتقع بلاد الشام جنوب غرب قارة آسيا، في المنطقة التي تمتد من جبال طوروس شمالا، وحتى شمال سيناء جنوبا، ومن البحر المتوسط غربا إلى البادية وبلاد ما بين النهرين شرقا[2].

وبلاد الشام–أو سورية بمعناها الواسع– تتوسط قارات العالم القديم وهي بمثابة مفتاح لها[3]، كما تتوسط أعرق حضارتين عرفهما العالم القديم، وأعني بهما: حضارة وادي النيل بمصر وحضارة وادي الرافدين بالعراق. فبلاد الشام بحكم موقعها الجغرافي، واتصالها بجيرانها من الشرق ومن الجنوب الغربي لم يكن لها كيان مستقل بمقوماته[4]؛ وليس معنى هذا أنه لم تقم ببلاد الشام ممالك مستقلة، بل قامت بها دول وحضارات، نذكر منها: مملكة الغساسنة التي سبقت الفتح الإسلامي[5].

و ظلت جزءا واحدا منذ أن فتحها المسلمون وشكّلت ولاية مهمة من ولايات دولة الخلفاء الراشدين، ثم أصبحت مقرا للدولة الأموية ثم تبعت للعباسيين، كما خضعت أجزاء منها للدول التي قامت في المنطقة (الطولونية، الحمدانية، الإخشيدية)، وتوحدت مع مصر تحت نفوذ الدولة الأيوبية ثم تحت حكم المماليك

1 –الإسكندرونة: منطقة زراعية خصبة، وتعد الميناء الطبيعي لحلب وشمال سورية، دخلت تحت النفوذ الفرنسي منذ 1919 وكان على فرنسا أن تحافظ عليها بوصفها جزءا من المنطقة التي ائتمنت عليها بموجب صك الانتداب، لكن فرنسا وهبتها دون حق لتركيا بموجب صفقة سياسية عقدتها معها...أنظر:

جيهان علي عبد الرحيم، الآثار السياسية والحضارية للانتداب الفرنسي والبريطاني على بلاد الشام(1924–1939) بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث والمعاصر بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2011، (غ م)، ص 3.

2 –عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي 1516–1922، دار النهضة العربية، بيروت، (د ت) ص 16.

3– Baudicour, op.cit., p. 3.

4– بيومي، مرجع سابق، ص 12.

5 –جورجي زيدان، كتاب العرب قبل الإسلام، ط2، مطبعة الهلال، القاهرة، 1922، ص 195.

الذين أوقفوا الزحف المغولي وقضوا على آخر معاقل الصليبيين في الشام[1]. وهكذا ظلت بلاد الشام على مر التاريخ معبرا للجيوش والحضارات تتجاذبها قوى الجوار[2].

وقد دخل العثمانيون إلى الشام في أعقاب هزيمة المماليك بمعركة مرج دابق[3] سنة 922هـ/ 1516م وتلقاهم السكان بالترحيب، ليتوالى من بعدها خضوع كامل البلاد العربية باستثناء ما يعرف اليوم بالمملكة المغربية. وظلت بلاد الشام طوال أربعة قرون خاضعة للعثمانيين يحكمونها بأسلوب عسكري أتوقراطي، لا تشارك الشعوب فيه[4].

التقسيمات الإدارية العثمانية:

كانت بلاد الشام على عهد العثمانيين تنقسم إداريا إلى الأقسام الآتية: الولاية وعلى رأسها الوالي الذي يعود بأموره إلى وزارة الداخلية في اسطنبول. وتشتمل الولاية على عدة ألوية أو متصرفيات، وهذه تضم عدة أقضية (جمع قضاء). وكل قضاء يتألف من (مديرية) أو أكثر. ويعرف حكامها على التوالي باسم (الوالي)، و(المتصرف) و(القائم مقام) و(مدير الناحية). وتضم الناحية عدة قرى، ينوب في كل منها، عن مدير الناحية، احد أهاليها يعرف باسم (المختار).

---

1 –إسماعيل أحمد ياغي ومحمود شاكر، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، ج1، دار المريخ، الرياض، 1984، ص 70،71.

2 –عمر عبد العزيز عمر، مرجع سابق، ص 16.

3 –موضع في سورية الشمالية اتخذه سليمان بن عبد الملك معسكرا وفيه مات وفيه أيضا أقام هارون الرشيد وفيه انتصر سليم الأول على المماليك فأدخل سورية في حكم بني عثمان 1516.

انظر: حرفوش وآخرون، مرجع سابق، ص 652.

4 –سليمان موسى، الحركة العربية 1908– 1924، ط3، دار النهار للنشر، بيروت، 1986، ص 14.

وكانت بلاد الشام في معظم فترة الحكم العثماني مقسمة إلى ثلاث ولايات: وهي حلب وطرابلس ودمشق[1]، فولاية حلب كانت تشمل شمال الشام، وولاية طرابلس كانت تشمل وسط البلاد (طرابلس، وحماة وحمص)، أما ولاية دمشق (وتسمى ولاية الشام) فشملت جنوبي الديار السورية: دمشق والقدس وغزة ونابلس وتدمر وبيروت وصيدا وغيرها[2]. ثم أنشئت ولاية صيدا لاحقا(1660م) لتتكون من المناطق الساحلية الجنوبية وكان الغرض منها مراقبة العصبيات الإقطاعية المسلحة في جبل لبنان[3].

وكان على رأس كل ولاية ممثل أو نائب للسلطان يعرف بالوالي ويحمل لقب الباشا وكان مسئولا عن أمن المواطنين وعن ضمان استمرار ولائهم للسلطان، وعينت الدولة موظفين يساعدون الوالي في إدارة شؤون الولاية، بعضهم ارتبط إداريا مباشرة بالآستانة[4].

وعلى العموم فالتقسيمات الإدارية لم تستقر على حال طوال فترة الحكم العثماني لبلاد الشام سواء من حيث عدد الوحدات الإدارية أو من حيث درجة الصلة بالآستانة. ويعود ذلك إلى أن حكم الأتراك للبلاد كان يتميز بالقوة والفتور حسب موقع المنطقة قرباً أو بعداً من مركز الدولة وحسب الظروف المحلية والدولية. ففي المناطق الجبلية أو البعيدة عن قلب الدولة أو مركز الولاية لم يكن الحكم العثماني فيها إلا اسمياً، بمعنى أن الدولة لم تكن ترسل حكاما عثمانيين وإنما تعترف بوجود رياسة محلية، قد تكون قبلية أو عسكرية أو إقطاعية، تحكم باسم السلطان كما كان الحال بالنسبة للبنان على سبيل المثال[5]. كما يعود سبب عدم استقرار الخريطة

---

1 –محمد كرد علي، خطط الشام، ج3، مطبعة الترقي، دمشق، 1925، ص 236.

2 –عبد الرحيم، مرجع سابق، ص 2–3.

3 –محمد عوض عبد العزيز، الإدارة العثمانية في ولاية سورية (1864–1914م)، رسالة ماجستير في الآداب، جامعة عين شمس، دار المعارف بمصر، 1969، ص 62.

4 –ياغي، العالم العربي في التاريخ الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض،1997، ص 73، 74.

5 –نفسه، ص 83.

الإدارية لبلاد الشام إلى حركات التمرد والانفصال التي كانت تظهر من حين لآخر، «ومن المعروف أن هذه الحركات استفحلت في الأوقات التي كانت تمر فيها الدولة بظروف خاصة، كانشغالها في الحروب والمعارك، أو وقوع صراع بين أركان الدولة في العاصمة..»[1].

علاقة السكان بالولاة العثمانيين:

بلاد الشام هي فسيفساء من الديانات والمذاهب والطوائف ولعل أقدمها جماعات النصارى التي تعود أصولها إلى المردة[2]، ويعتقد أن المردة هم أصول الموارنة[3]، وعندما فتح المسلمون المنطقة لم يهتموا بها- أي بجماعات النصارى- لضآلة شأنها[4]. والى جانب النصارى-الذي يتمركز معظمهم في وسط وشمال لبنان- يوجد الدروز[5] الذين يتواجد غالبيتهم في جنوب لبنان وقد انتشر مذهب الدروز منذ القرن الخامس هجري[6] (الثاني عشر ميلادي)، هذا وتوجد طوائف

1 -فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2007، ص18.

2 -المردة هم من الشعوب السامية سكنوا المنطقة الممتدة من لبنان إلى سورية والأردن وفلسطين وصولاً فيما بعد إلى العراق وإيران، وعُرفوا منذ 2300 سنة قبل المسيح بشعب مؤلف من أعراق مختلفة في بلاد الشرق. وبسبب الغزوات والحروب المتعاقبة تجمعوا في لبنان وسورية. وفي القرن السابع الميلادي اعتنق عدد كبير من المردة المسيحية وسمّوا أنفسهم سرياناً. لكنهم بالأساس من طوائف متعددة وجذور مختلفة. انظر:

- حرفوش وآخرون، مرجع سابق، ص 652.

3 -يوسف الدبس، الجامع المفصل في تاريخ الموارنة المؤصل، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1905، ص 41.

4 -كرد، مرجع سابق، ص 96.

5 -فرقة باطنية تؤله الخليفة الفاطمي الحاكم بالله، أخذت جل عقائدها عن الإسماعيلية، وهي تنتسب إلى نشتكين الدرزي، نشأت في مصر ثم انتقلت إلى الشام، عقائدها خليط من عدة أديان وأفكار، كما أنها تؤمن بسرية أفكارها، فلا تنشرها على الناس. أنظر:

-علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، 2001، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ص 301.

6 -كرد، مرجع سابق، ص 96.

أخرى مثل الشيعة- خاصة في جبل عامل بلبنان- والعلويين[1] في شمالي غرب سورية حاليا.

إن هذه التركيبة المعقدة للمجتمع الشامي وموقعه الجغرافي وقربه من مركز السلطنة جعل السلطات العثمانية تعاني في إدارة شؤونه. ومما زاد الأمور تعقيدا هو تدخل الدول الغربية في الأمر منذ وقت مبكر، فأصبح السلاطين العثمانيون-خاصة في مرحلة الضعف -لا يقدمون على أي تصرف تجاه رعاياهم في الشام دون أن يأخذوا بعين الاعتبار موقف الدول الأوروبية، خاصة تلك التي كانت قد منحتها امتيازات في المنطقة مثل فرنسا وروسيا وبريطانيا.

وهكذا كانت الإمبراطورية العثمانية في مجموعها مطمع الدول، لذلك كانت كل مشكلة في أي جزء من أجزائها، «أوكل خلاف بين التابع والمتبوع في داخليتها يؤدي غالبا إلى التدخل الأوروبي أو خلق مشكلة دولية تهدد السلام العام»[2].

ومع مرور الوقت وازدياد ضعف الدولة العثمانية ازداد تدخل الدول الأوروبية في شؤون السلطنة الداخلية وأصبحت مسائل الأقليات والطوائف أوراق ضغط في أيدي ساسة تلك الدول. ولكن الدولة العثمانية استطاعت وبمهارة أن تستغل الخلافات والتنافس الذي كان قائما بين القوى الأوروبية لصالحها واستطاعت أن تكسب مزيدا من الوقت وتمد في عمرها.

كان المجتمع الشامي يتكون في الغالب من فئتين من فئتين فئة الفلاحين وتشكل غالبية السكان وفئة الإقطاعيين أو كبار الملاك وهي مشكّلة من أصحاب المناصب

---

1 -من العلوية وهي فرقة باطنية يعيش جزء من أفرادها في منطقة جبل العلويين في اللاذقية في سورية. والعلويين حاليا إسمهم التاريخـــي هو النصيريون نسبة إلى أبو شعيب محمد بن نصير البصري النصيــري (ت 270هـ) الذي وضع أساس المذهب في بغداد في القرن الثاني الهجري، ومن أهم معتقداتهم المغالاة في تقديس الإمام علي إلى حد تأليهه. أنظر:

-عبد الرحمن بدوي، مذاهب الإسلاميين، دار العلم للملايين، بيروت، 1997، ص 1169-1186.

2 -محمد صبري، مصر من محمد علي إلى اليوم، مطبعة مصر، القاهرة، 1927، ص 60.

والأعيان ورجال الدين[1]-خاصة في لبنان- وهؤلاء كانوا هم الواسطة بين السكان والولاة الذين كانوا في الغالب يهمهم انتشار الأمن واستقرار الأوضاع وبالتالي استمرار تدفق الضرائب وعائدات الفلاحة.

ولطالما نظر سكان الشام، وهم عرب، إلى الدولة العثمانية على أنها دولة الخلافة الإسلامية «التي تحمي ديار المسلمين من عدوان الدول غير المسلمة وترفع من شأن الإسلام »[2]. إلا أن هذه القاعدة العامة لم تكن صحيحة دائما لبعض الطوائف الشامية التي كانت تتحالف مع الأعداء والأطراف الأجنبية كلما وجدت إلى ذلك سبيلا مثل تحالف الأمير الدرزي فخر الدين المعني الثاني[3] مع إمارة توسكانا الإيطالية[4]، وتحالف النصيريين مع الصفويين ضد الدولة العثمانية[5]، وتحالف الموارنة مع محمد علي.

وعلى العموم فعلاقة المجتمع الشامي بالولاة تباينت بين السنة وغيرهم من المسلمين وبين المسلمين وغيرهم من أهل الذمة. وقد تتباين حسب طبيعة الولاة فالولاة القساة خلفوا سخطا وتذمرا بين السكان على عكس الولاة المصلحين الذين تركوا أثرا طيبا حتى بعد انقضاء مدة ولايتهم.

1-كمال عصام خليفة، أبحاث في تاريخ لبنان المعاصر، ط1، دار الجيل، بيروت، 1985، ص 16.

2 -موسى، مرجع سابق، ص 13.

3 -فخر الدين المعني الثاني: (1572-1635)، أمير لبناني من آل معن ولد في بعقلين. تسلم إمارتها وأنشأ جيشا، تعاقد مع امراء توسكانا، ليقدموا له الخبراء في صب المدافع، ثم قصد إيطاليا بعد اضطراره لمغادرة لبنان، وعقد مع أمرائها معاهدة لتقديم العون له. عفا عنه السلطان العثماني، وجعله واليا على صيدا وصفد، انقض على الحكم العثماني، لكنه فشل. ونفي إلى اسطنبول حيث قتل. انظر:

- نصار وآخرون، م 5، مرجع سابق، ص 2371.

4 -ياغي، العالم العربي في التاريخ الحديث، مرجع سابق، ص 97.

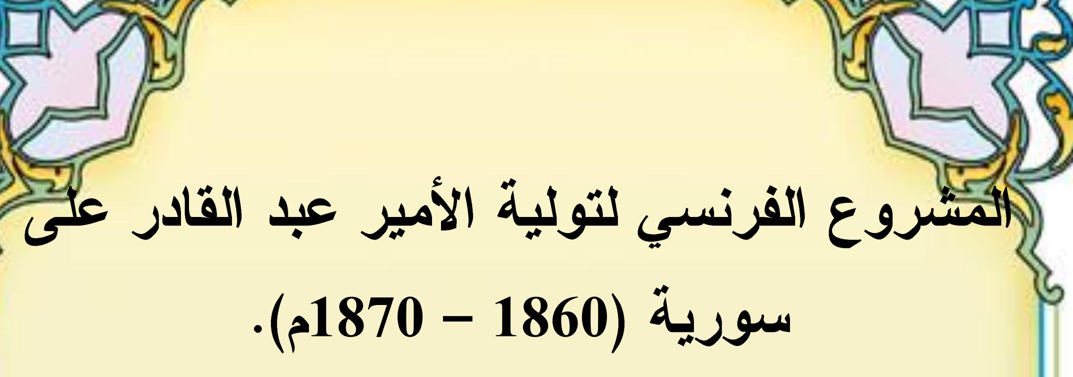
5 -أحمد آق كوندز وسعيد أوزتورك، الدولة العثمانية المجهولة، تر اورخان علي وعوني لطفي اوغلي، وقف البحوث الإسلامية، اسطنبول، 2008، ص 16.



الفصل الثاني:

المشروع الفرنسي لتولية الأمير عبد القادر على سورية

(1860 – 1870)



المشروع الفرنسي لتولية الأمير عبد القادر على سورية (1860 – 1870م).

1. الفتنة الطائفية ودور الأمير في إخمادها.
   - بلاد الشام بين الأطماع الأوروبية وطموح محمد علي.
   - الفتنة الطائفية 1860.
   - موقف الدول الكبرى من أحداث الفتنة الطائفية.
   - فكرة إنشاء كيان سياسي مستقل للعرب.
2. المشروع الفرنسي لتولية الأمير عبد القادر على سورية.
   - دوافعه وأهدافه.
   - بين المملكة العربية في سورية والمملكة العربية في الجزائر.
   - مواقف مختلف الأطراف منه.
   - موقف الأمير عبد القادر منه.
   - مآله.
   - نقده.

1.الفتنة الطائفية ودور الأمير في إخمادها:

منذ أن خضعت بلاد الشام للحكم العثماني طبق على النصارى من سكانها ما يعرف بنظام الملة الذي بدأ العمل به بعد فتح القسطنطينية عام 1453م، وكان هذا النظام يهدف إلى تثبيت حقوق أهل الذمة وواجباتهم.

ولكن مع الضعف الذي دبّ في أوصال الدولة العثمانية وازدياد التدخل الأوروبي في شؤونها الداخلية تحول نظام الملة إلى نظام الأقليات«مما أرسى الحجر الأول في المشكلة الطائفية في المشرق العربي»[1].

وشيئا فشيئا أخذ النصارى يحاولون تغيير أوضاعهم الاجتماعية ويصبون إلى تحقيق المساواة مع المسلمين والخروج من التقليد الاجتماعي المرتبط بكونهم أهل ذمة وأنهم دون المسلمين مرتبة، وكان مما حفزهم على هذا التحول-بالإضافة إلى الرعاية الأوروبية-هو ابراهيم باشا[2] الذي حكم البلاد أثناء احتلاله للمنطقة، فقد «قام بإلغاء الحظر المفروض على الطوائف غير المسلمة والتي أوجدها الأتراك مثل تحريم ركوب الدواب واقتناء الجواري ولبس العمائم وسواها»[3].

---

1 – حسين العُودَات، العرب النصارى عرض تاريخي، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1992، ص 157.

2 –إبراهيم باشا: (1789–1848) قائد مصري الابن الأكبر للوالي محمد على عينه أبوه قائدا للحملة المصرية ضد الوهابيين فأخمد ثورتهم كما عين قائدا للجيش المصري ضد الثوار اليونانيين فقضى على ثورتهم أيضا كما أنفذه أبوه على رأس جيش مصري قوي استطاع إلحاق هزائم متتالية بجيوش السلطان العثماني وأحتل فلسطين والشام وعبر جبال طوروس حتى وصل إلى كوتاهية وانتصر على جيوش السلطان عام (1839)، ولكن الدول الأوروبية أكرهته على الجلاء من جميع المناطق التي احتلها. عُين إبراهيم في 1848 نائبًا عن أبيه في حكم مصر، ولكنه توفي في نوفمبر من العام نفسه.

انظر: نصار وآخرون، مرجع سابق، م1، ص 6.

3 – مجهول، مذكرات تاريخية عن حملة ابراهيم باشا على سورية، تح وتق أحمد غسان سبانو، دار قتيبة للطباعة والنشر، دمشق، 1990، المقدمة، ص 17.

بلاد الشام بين الأطماع الأوروبية وطموح محمد علي:

بلغت الدولة العثمانية في أواخر القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي أوج عظمتها واتساعها، فقد أتمت احتلال البلقان، وأحاطت جيوشها بأسوار فيينا في أوروبا، ودخلت جميع الأقطار العربية في حوزتها، عدا المغرب وقلب الجزيرة العربية. غير أن موجة الفتوحات ما لبثت أن توقفت، ثم أخذت سيطرة الدولة في الانحسار عن المناطق التي احتلتها عندما بدأ الضعف يتسرب إلى كيانها. ويعود ذلك إلى ضعف السلاطين، وفساد الجيش الإنكشاري والإدارة، وسوء نظام جباية الضرائب، وأخيرًا بسبب اتساع الدولة وتعدد عناصرها[1].

وكان ضعف الدولة العثمانية عسكريا واقتصاديا وسياسيا هو الذي جعل الأطماع الأوروبية تكوّن ما عرف بالمسألة الشرقية[2]، التي تتمثل في موقف الدول الأوروبية من الدولة العثمانية، وهي«..قضية التوسع على حساب الإمبراطورية التركية، وملء الفراغ الطارئ بزوال هذه الدولة تدريجيا، بعد أن كانت يوما في عِداد الدول العظمى»[3]، فاتخذت الدول الأوروبية ضعفها وسيلة لفرض نفوذها ومحاولة السيطرة عليها.

وترجع الأطماع الاستعمارية في بلاد الشام والمشرق العربي إلى زمن الحروب الصليبية، ولم يمض زمن طويل بعد إجلاء هذه الحملات حتى عادت الأطماع بشكل أو بآخر. فتارة تكون بمحاولات الغزو المسلح، وطورًا بالغزو السياسي والثقافي وراء قناع الامتيازات الأجنبية التي ترجع إلى المعاهدة التي عقدت

1 –حليم، الدولة العثمانية العلية، مصدر سابق، ص 14.

2 –نوار ونعنعي: التاريخ المعاصر أوروبا، مرجع سابق، ص 294.

3 –فيليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج2، تر كمال اليازجي وجبرائيل جبور، دار الثقافة، بيروت، 1983، ص 348.

بين ملك فرنسا فرانسوا الأول[1] والسلطان العثماني سليمان القانوني[2] في سنة 1535م[3]، والتي فتحت لأوروبا عهدًا جديدًا من العلاقات مع الشرق، فقد أعطت الأوروبيين حق الاتصال بالموانئ الشرقية والمتاجرة مع الشرق، وعهدًا بحماية أرواحهم وكنائسهم وتجارتهم. وطمعت الدول الأوروبية الأخرى بالحصول على مثل هذه الامتيازات، فظلت تحاول حتى تمكنت من عقد معاهدات مماثلة مع السلطنة العثمانية. وهكذا وضع أساس الامتيازات الأوروبية في الشرق.

نتج عن ضعف الدولة العثمانية خروج محمد علي عن سلطتها واحتلاله لبلاد الشام، ولم يكن محمد علي أول حاكم مصري يتطلع لاحتلال بلاد الشام إذ أن «جميع الدول الكبرى التي نبعت من قبل في مصر لم تجد بدا من أن تبسط سلطانها نحو سورية»[4]. وقد كان هذا الأخير قد تولى الحكم في مصر عام 1805م، إثر جلاء القوات الفرنسية عن مصر، وقد كلفه السلطان العثماني بالقضاء على الدولة السعودية الأولى ونجح في ذلك عام 1818م. ودفعه هذا الانتصار إلى تنفيذ حلمه بتكوين إمبراطورية واسعة، وتطلع إلى ضم سورية وغيرها، فجهز حملة عسكرية

1- فرانسوا الأول(François Ier)(1994-1547) ملك فرنسا(1515-1547). حارب شارل الخامس إمبراطور إسبانيا والنمسا. أقر الفرنسية لغة رسمية عوضا عن اللاتينية. على أيامه أبرمت معاهدة الامتيازات بينه وبين سليمان القانوني. انظر:

- حرفوش وآخرون، مرجع سابق ص 525.

2- سليمان الأول أو القانوني(1494-1566) سلطان عثماني(1520-1566) ابن السلطان سليم الأول، أشهر سلاطين بني عثمان على الاطلاق. فتح مناطق واسعة في أوروبا، حاصر فيينا عام 1528 لكنه ارتد عنها بسبب قساوة الشتاء، شن حروب عديدة ضد الممالك المسيحية وضد فارس. كان عادلا وكان ينفق بسخاء على رجال الفن والأدب. انظر:

- نصار وآخرون، مرجع سابق، م 4، ص1881.

3 -يذكر حسين العُودَات أن أول امتياز منح للتجار البنادقة عام 1521 . ولكن شهرة عام 1535 تعود لكون نوع الامتياز الذي منح للفرنسيين كان دينيا(حق حماية الكاثوليك). انظر:

العُودَات، مرجع سابق، ص160.

4 -كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، تر نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1968، ص 546.

بقيادة ولده إبراهيم باشا، وأرسلها إلى بلاد الشام لاحتلالها وذلك عام 1247هـ، 1831م في عهد السلطان العثماني محمود الثاني.

حققت الحملة نجاحا كبيرا بعد أن احتلت الجيوش المصرية عكا وطرابلس ودمشق وحمص وبقية المدن السورية التي خضعت للنفوذ المصري[1]«وغدت مهمة إبراهيم باشا..، بفضل تعاون الأمير بشير الشهابي[2]معه، مهمة سهلة نسبيًا.. وعبر جبال طوروس، وأوغل في بلاد الترك، وكاد ينزل الضربة القاضية برجل أوروبا المريض..»[3]. حينئذ تدخلت الدول الأوروبية وأجبرت محمد علي على الانسحاب من بلاد الشام والعودة إلى مصر لتكون ولاية وراثية له ولأولاده من بعده، وذلك بموجب معاهدة لندن 1840م. وعادت سورية مرة أخرى إلى الحكم العثماني[4]. ووُقِّعت المعاهدة في غياب فرنسا، وقد توفرت لدى بريطانيا أسباب وجيهة للشك في انحياز فرنسا إلى صف مصر[5].

إن محاولة توحيد مصر وبلاد الشام في دولة عصرية شكل تهديدا مزدوجا للسلطنة العثمانية في الداخل (شرعية الحكم)، وللمصالح الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية الأجنبية، التي اتجهت لإبقاء السلطنة ضعيفة وسوقا مفتوحة وعدم

---

1 -صبري، مرجع سابق، ص 66.

2 -الأمير بشير الثاني الشهابي الكبير(1767 – 1850) هو أحد أمراء جبل لبنان من آل شهاب، يُعتبر أحد أشهر الأمراء في تاريخ لبنان، حكم الأمير بشير الثاني جبل لبنان بين 1788 و1840 عاصر بشير الثاني فترة الحملة المصرية على بلاد الشام، وكان الأمير خلالها متحالفًا مع محمد علي باشا والي مصر ضد الدولة العثمانية، وبانهزام المصريين في نهاية المطاف، غادر الأمير لبنان إلى المنفى.انظر:

-الزِركْلي، ج2، مرجع سابق ص 57.

3 -حتي، مرجع سابق، ص 341.

4 – مجهول، مذكرات تاريخية عن حملة ابراهيم باشا على سورية، مصدر سابق، ص 135.

5 -جرانت وتمبرلي، مرجع سابق، ص 351.

استبدالها بدولة قوية (دولة محمد علي)، ولهذا السبب توافقت المصلحتان العثمانية والأوروبية على تحجيم دولة محمد علي وحصرها في مصر[1].

وعلى الرغم من أن فترة حكم إبراهيم باشا للشام لم تدم أكثر من ثماني سنوات إلا أنها تركت أثارا كبيرة على المجتمع الشامي سواء من حيث زرع بذور الفتنة بين المسلمين والنصارى بصفة عامة وبين الدروز والموارنة بصفة خاصة أو بين المجتمع الشامي والسلطنة. وأخذت فرنسا تحتضن الموارنة وبريطانيا تحتضن الدروز[2]؛ وفي هذا الشأن يقول محمد كرد علي: «لم تكد تخلي الجنود المصرية بلاد الشام حتى رجعت إلى حالتها قبل المصريين وثارت العداوات القديمة في الصدور، وزادت الدسائس الأجنبية، ، فتعدى هؤلاء على الموارنة في سنة 1257هـ [1841م] ودخلوا دير القمر[3] وارتكبوا فيها الفظائع المنكرة..»[4]. كانت هذه واحدة من الحوادث الكثيرة التي وقعت بين الموارنة والدروز قبل حوادث الستين الشهيرة.

الفتنة الطائفية 1860:

في عام 1860 وقعت في لبنان وسورية مواجهات عنيفة بين الدروز[5] والموارنة تحولت إلى صدامات بين المسلمين والمسيحيين ألهبها التنافس الخفي بين الانجليز والفرنسيين، كان لها أثر بالغ على تاريخ المنطقة.

1 –سنّو، مرجع سابق، ص 33.

2 –جمال حمدان، العالم الاسلامي المعاصر،علم الكتب، القاهرة، 1990، ص 89.

3 –دير القمر: بلدة بلبنان بين بعقلين وبيت الدين، وعلى ارتفاع 850 م فوق سطح البحر. كانت عاصمة الأمراء المعنيين والشهابيين. بها قصر للأمير فخر الدين المعني، وآخر للأمير شهاب. انظر:
نصار وآخرون، م 3، مرجع سابق، ص 1572.

4 –كرد، مرجع سابق، ص.76.

5 –بعض المفكرين وعلماء الدين السنة لا يعتبرون الدروز من المسلمين ولا يقتصر الأمر على المسلمين بل حتى بعض الغربيين يرون ذلك فمثلا نجد عالم الآثار الفرنسي فرانسوا لينورمان (Lenormant François) الذي كلف بكتابة تقرير عن حوادث الستين–لأنه كان من أوائل الأوروبيين الذين وصلوا إلى المنطقة بمجرد تناقل أخبار الحوادث– نجده يصف الدروز بأنهم شعب غير مسلم: أنظر: =

وفي الواقع تعود جذور هذه المواجهات إلى الصراع الذي كان قائما بين الموارنة، الميالين لفرنسا[1]، والدروز المؤيَدين من طرف بريطانيا[2]، واستفاد الموارنة من فترة حكم إبراهيم باشا على بلاد الشام الذي سلّحهم وألبهم على الدروز ومكّنهم من الاستيلاء على اقطاعات الزعماء الدروز الذين نفاهم إلى مصر في أواخر أيامه بسورية[3].

كما يُرجِع أغلب المؤرخين أسباب هذه المواجهات إلى صدور ما عرف بـــالخط الهمايـــوني في 1856م. وهو نظام قانوني ألغى نظام أهل الذمة السابق، وجاء نتيجة الضغوط التي مارستها الدول الأوروبية على السلطان العثماني. وبموجب القانون الجديد يتساوى المسلم بغيره، ممَّا ولَّد غضباً عارماً لدى المسلمين[4] الذين رأوا في ذلك انتهاكاً صارخاً لقوانين الشريعة الإسلامية، واستغلت هذا التذمر الدول الأوروبية نفسها التي كانت تلعب بمصائر الشعوب من أجل مصالحها الخاصة[5]، وعلى رأس هذه الدول بريطانيا وفرنسا ويندرج هذا التدخل في إطار المنافسة الاقتصادية في المنطقة، وفي إطار إستراتيجيتها الرامية إلى تفكيك (دار

François Lenormant. Histoire des massacres de Syrie en 1860. Hachette. Paris 1861.p.VII.

1 –يعتبر الموارنة أكثر الطوائف الشرقية تأثرا بفرنسا « فهم –حسب لينورمان– فرنسيون حقيقيون بالقلب»: أنظر:

Lenormant ibid., p. XIV.

وانظر أيضا:

نسيم نوفل، كتاب بطل لبنان الشهير الطائر الصيت المرحوم يوسف بك كرم، المطبعة الوطنية بالإسكندرية، 1896، ص 215.

2 –كانت بريطانيا تمارس الحماية للدروز، فمنها أنها توسطت لدى الباب العالي لمنع مدحت باشا من تأديبهم بسبب القلاقل التي تسببوا فيها في فترة ولايته على الشام، أنظر:

– عوض، مرجع سابق، ص 291.

3 –ياسين سويد، فرنسا والموارنة ولبنان، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 1992، ص 14.

4 –ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض،1996، ص157.

5 –سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ص 537، 538.

الإسلام) سياسيا، ففرنسا كانت وراء الموارنة فيما كانت بريطانيا[1] تحرك الدروز لكي تتصدى لمطامع فرنسا ولكي ترسى هيمنتها[2].

وحين أفرزت تلك الفتنة غضباً عارماً على المسيحيين في الشام وخارجه وهاجم بعض المسلمين الحي المسيحي في دمشق. قام الأمير عبد القادر– باعتراف العديد من قادة تلك الفترة– بحماية وإنقاذ أكثر من أثني عشر ألف مسيحي احتموا به من غضب جماعات ثائرة[3]، وقد حمل مع أتباعه، الذين بلغ عددهم حوالي 1200 رجلا، السلاح من أجل ذلك[4]، وهو ما دفع العديد من ملوك وقادة تلك الفترة ورجال الدين إلى منح الأمير أوسمة شرف عرفانا له بإنقاذ أرواح الآلاف من المسيحيين[5] ومنهم عدد من رعاياهم بمن فيهم قناصلة روسيا وفرنسا واليونان وأمريكا وقد انتهت تلك الفتنة بالتدخل الأجنبي الفرنسي[6]، «وانهالت المكافآت على الأمير عبد القادر الكبير بعد ذلك وأغدقوا عليه وابلا من التهاني البليغة.. وكان السلطان الخليفة

1 –لقد جرت مناقشة في مجلس العموم الانجليزي بتاريخ 17 أوت 1860 أتهم فيها بعض النواب ومنهم المستر مونسل الحكومة البريطانية بالوقوف وراء الفتنة الطائفية في لبنان. لمزيد من التفصيل حول المسألة أنظر:

– فيليب وفريد الخازن (تع)، مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية عن سورية ولبنان من سنة 1840 إلى سنة 1910، الجلد [كذا] الثاني من كانون الثاني سنة 1860 إلى تشرين الأول منها، مطبعة الصبر، جونية، لبنان، 1911، ص 288–291.

2– Hamza Benaissa, L'Emir Abdelkader et la franc maçonnerie, El maarifa éditions, Alger, p.19.

3 –تضاربت أرقام عدد الضحايا فهي 21900 شخص حسب بعض الكتابات الكاثوليكية و11500 حسب المصادر العثمانية أنظر:

–Ageron, Abd el-Kader souverain d'un royaume arabe d'Orient, In: Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°8, 1970, unica, p. 16.

4– Annuaire des deux mondes: histoire générale des divers états, 1860 (T10), 1er juillet 1861 ,Paris, p.530.

5 –ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر الجزائري، مؤسسة جائزة عبد العزيز البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2000، ص 175، 176.

6 –يورد الأستاذ سهيل الخالدي قصة مفادها أن الأمير عبد القادر توجه إلى بلدة رياق على الحدود اللبنانية السورية وقابل الجنرال الفرنسي ومنعه من الدخول بقواته إلى سورية. انظر:

–سهيل الخالدي، توضيحات لألان كريستلو في مقاله «من الأمير عبد القادر 1860 إلى الأخضر الإبراهيمي 2012»، جريدة الشروق الجزائرية، ع 3787، 26 سبتمبر 2012.

عبد المجيد رحمه الله أول الشاكرين وابلغ المهنئين، وكافأه على عمله المجيد بمنحه الصنف الأكبر من الوسام المجيدي»[1] كما تهاطلت على الأمير الأوسمة والنياشين من عدد كبير من رؤساء الدول الأوروبية، وعلى الخصوص من نابليون الثالث الذي وشحه وسام الشرف الفرنسي الأول، ونتيجة لذلك أخذت تنتشر في أوروبا التآليف التي مجدت الجانب الإنساني للأمير وتسامحه[2].

ولم يقتصر الإعجاب والترحيب بما فعله الأمير على الجهات الرسمية بل تعداه إلى علماء المسلمين وشعرائهم ومن الشعراء العرب الذين امتدحوا الأمير عبد القادر نجد سليمان الصَّوْلة [3] وإبراهيم الأحدب[4] وغيرهم[5].

لقد تصرف الأمير مدفوعا من وازعه الديني والإنساني كيف لا وهو العالم العارف يدرك تماما أن قتل النفس بغير حق كبيرة من الكبائر وأن هؤلاء المسيحيين هم مستأمنين يعيشون في كنف المجتمع الإسلامي الذي يجب عليه أن يوفر لهم الأمن على أرواحهم وممتلكاتهم، لقد تصرف الأمير حيال هذه الأحداث وهو يدرك

---

1 –أحمد توفيق المدني، الأمير عبد القادر الجزائري وحوادث سورية المحزنة، والدولة العثمانية، مجلة التاريخ ع خاص بمناسبة الذكرى الـــ100 لوفاة الأمير عبد القادر، النصف الأول من سنة 1983، ص 8.

2 –Ageron, op.cit., p.18.

3 –سليمان بن ابراهيم الصَّوْلة: (1229–1317 هــ)(1816–1899). شاعر كثير النظم، ولد في دمشق وتعلم بمصر، وعاد إلى الشام في حملة ابراهيم باشا على البلاد الشامية، واستقر بدمشق، فاتصل بالأمير عبد القادر الجزائري، ولزمه مدة ثلاثين سنة، وله فيه قصائد، وسافر إلى مصر سنة 1883 م فأقام إلى أن توفي بالقاهرة. انظر: الزِركْلي، مرجع سابق، ج 3، ص 121.

4 –الشيخ ابراهيم الأحدب: ولد بطرابلس سنة 1242 هــ(1826م)، درّس في طرابلس وبيروت. عُدَّ من نوابغ عصره. عُيِّن كرئيس لكتاب محكمة بيروت لمدة تزيد عن الثلاثين سنة. توفى سنة 1308 هــ(1891م). بلغت تآليفه الأدبية نحو العشرين منها: «كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان» و«فرائد اللأل في مجمع الأمثال»، كما كتب قصائد شعرية كثيرة بلغت أبياتها نحو ثمانين ألف بيت.

انظر: لويس شيخو، تاريخ الآداب العربية(1800–1925)، ط3، دار المشرق، بيروت، 1991، ص 203،204.

5 –إباضة، مرجع سابق، ص 18–21.

قوة الدول المسيحية من جهة وضعف الممالك الإسلامية من جهة أخرى[1]؛ لقد كان تصرف الأمير تعبيرا عن التسامح والتعايش بين الأديان، فهو المسلم الذي قاسى من الفرنسيين المسيحيين، لم يحمل أي حقد أو ضغينة ضدهم، بل سعى إلى إيواء نصارى الشام وحمايتهم[2].

وبهذا العمل الجليل يكون الأمير قد حطم آمال المستعمرين وخدم الإسلام خدمة مثلى وقدم للدولة العثمانية معروفا وازدادت قيمته التاريخية سموا وارتفاعا[3]. كما أنه ساعد على تحقيق الاستقرار في سورية سنة 1860 وقلل من فرص التدخل الأوروبي[4] وكبر في أعين قادة الغرب وكثر محبيه في فرنسا بعد أن كانوا منحصرين في أسراه القدامى.

موقف الدول الكبرى من أحداث الفتنة الطائفية:

وصلت أنباء الفتنة الطائفية إلى اسطنبول وشاعت أخبارها في أوروبا، فأراد السلطان عبد المجيد استباق ردود الفعل لتلافي ذيولها بسرعة قبل تدخل الدول الأجنبية فأرسل جيشاً من أربعة آلاف جندي مع وزير خارجيته «محمد فؤاد باشا»[5] بمهمات استثنائية وصلاحيات واسعة. وقام السلطان نفسه بإبلاغ هذا القرار لقادة

---

1 –Ageron, Idem.

2 –عبد القادر بوعرفة وآخرون، تبر الخواطر في فكر الأمير عبد القادر، دار القدس العربي، الجزائر، 2010، ص32.

3 –المدني، مرجع سابق، ص 7.

4 –ألان كريستلو، الجزائريون والأزمة السورية من الأمير عبد القادر (1860) إلى الأخضر الإبراهيمي (2012)، تر أبو القاسم سعد الله، جريدة الشروق الجزائرية ، ع 3777، 16 سبتمبر 2012.

5 –محمد فؤاد باشا(Fuad Pasha, Mehmet):(1815–1869)، سياسي تركي. وزير خارجية الدولة العثمانية (1852–1853) و(1855–1856). تولى الصدارة العظمى أو رئاسة الوزراء مرتين (1861–1862) و (1863–1867). يُعتبر أحد أبرز رجال الحركة الإصلاحية التي استهدفت تحديثَ الإمبراطورية العثمانية على أُسس غَربيّة. عملَ على إصلاح نظام التعليم، وشارك في تأليف أول كتاب في قواعد اللغة التركية (عام 1851).

انظر: منير البعلبكي، معجم أعلام المورد، ط1، دار العلم للملايين بيروت، 1992، ص 329.

الدول الخمس الكبرى[1]. وكان مع فؤاد باشا فريق عمل مؤلف من مفتٍ وأمين سر وأربعة إداريين حقوقيين وثلاثة قضاة[2]. استدعى فؤاد باشا والي دمشق أحمد باشا وجرده من رتبه العسكرية هو وخورشيد باشا والي صيدا وأرسلهما رهن الاعتقال إلى اسطنبول. والظاهر أن الوزير العثماني قد أراد بهذا العمل إسدال الستار نهائياً على طبيعة الإشاعات التي تسربت ومفادها أن الدولة العثمانية أمرتهما بتأديب المسيحيين ولكنهما تجاوزا التعليمات والحدود المرسومة لهما[3]، مما أثار الضجة الهائلة في الأوساط الأوروبية فحفزت فرنسا لإرسال جيش إلى المنطقة[4].

وفي نفس الوقت تشكلت لجنة دولية من ممثلي خمس دول هي روسيا وفرنسا وانجلترا وبروسيا والنمسا بالإضافة إلى فؤاد باشا[5] وحصرت مهامها بثلاثة أمور هي البحث في أسباب الحوادث وإنزال العقوبات بالمسببين والتعويض على المنكوبين ثم اقتراح تعديلات على نظام جبل لبنان لتوطيد الأمن فيه[6].

قام فؤاد باشا بمهامه دون شفقة مدفوعاً بالمصالح العليا للدولة وتحت رقابة الدول الأوروبية[7] وقد بينت التحقيقات والمحاكمات براءة أهل الشام وأعيانها، إلا أن

1–, op.cit. p.530.

2 –طلال منجد، جذور ومقومات التدخل الدولي في لبنان: حالة سنة 1860، جريدة التمدن، طرابلس، لبنان، ع: 1246، 2010/05/20 م.

3 –مخائيل مشاقة، كتاب مشهد العيان بحوادث سورية ولبنان، مصر،1908، ص 198.

4 –أسعد الأسطواني، دمشق على أبواب القرن العشرين، مجلة التراث العربي، ع: 55 و56 –السنة 14–نيسان وتموز (أبريل ويوليو)، دمشق، 1994.

5– Adolphe de Chesnel, Jules Duvaux, Dictionnaire des armées de terre et de mer, encyclopédie militaire et maritime, deuxième partie, Armand le chevalier, éditeur, Paris, 1863-1864, p.1172.

6– منجد، جذور ومقومات التدخل الدولي في لبنان، مقال سابق.

7 –يتضح ذلك جليا من خلال مراسلات وتقارير الديبلوماسيين الغربيين في المنطقة. انظر:
–الخازن، مصدر سابق، ص 295–299.

إلحاح القناصل الأوروبيون أدى إلى توجيه تهم غير مباشرة إليهم كالتقصير في أداء واجباتهم في منع حدوث الفتنة وصدرت بحقهم عقوبات ظالمة[1].

فكرة إنشاء كيان سياسي مستقل للعرب:

لقد كان لأحداث الفتنة الطائفية وتعامل مختلف الأطراف معها أثره البالغ على بلاد الشام حيث سلطت الأضواء عليها مما جعل بعض الدول الأوروبية تطرح مشاريع للمنطقة، منها إقامة إمارة عربية في بلاد الشام يكون الأمير على رأسها؛ فهو رجل تتوفر فيه شروط الزعامة العربية من نسب شريف، ونضال قومي وغيرة دينية وأصول هاشمية[2].

ومنها أنه تردد في الفترة ما بين 1860 و1865 وحتى بعد ذلك، تردد على الألسن في فرنسا –وفي إطار حملة سياسية– أطروحات مثل: «عبد القادر عاهل مملكة عربية في المشرق»، «عبد القادر نائب الملك أو حاكم سورية»[3]. وكان ذلك انعكاسا لمشروع سياسي لتولية الأمير على بلاد الشام ظهر في تلك الفترة وارتبط أساسا بحوادث الفتنة الطائفية في المنطقة في 1860 كما أسلفنا.

ولئن كانت فرنسا هي أول من طرح الفكرة[4] فإن القوميين العرب قد تلقفوها وتبنوها فيما بعد وذلك بطرحها من جديد سنة 1877 وسنعود للحديث عنها لاحقا.

---

1 –محمد سعيد الأسطواني، مشاهد وأحداث دمشقية في منتصف القرن التاسع عشر، تح: أسعد الأسطواني، دمشق، دار الجمهورية، 1994، ص 107.

2 –سعد الله، بحوث في التاريخ العربي الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، ط1،الجزائر 2003، ص 129.

3 –Ageron, op.cit., p.15.

4 –حسب سعد الله تكون جريدة " ديلي نيوز" البريطانية أول من نادى بالفكرة. أنظر كتابه تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ص 539.

2. المشروع الفرنسي لتولية الأمير عبد القادر على سورية:

لقد ظلت بلاد الشام محط أطماع فرنسية منذ عهد نابليون بونابرت وتعود جذور هذه الأطماع إلى فرانسوا الأول ومعاهدة الامتيازات التي سبق ذكرها؛ وبعد الحركة التي قام بها محمد علي – والذي كان ميالا لفرنسا– أرادت هذه الأخيرة أن تقر له بحكم الشام أو تستولي هي عليه[1].

وبعد فشل مشروع محمد علي بسبب معارضة بريطانيا كما مر معنا، وضعف موقف الدولة العثمانية نتيجة ملابسات حرب القرم؛ تجددت فكرة مشروع فصل سورية عن الدولة العثمانية في إطار دولة عربية تحت الحماية الفرنسية وهذه المرة كان وراء المشروع نابليون الثالث.

دوافع المشروع وأهدافه:

لا يمكن اعتبار أن وراء المشروع مجرد إحساس نابليون الثالث بالذنب جراء نكث فرنسا لوعودها للأمير غداة إنهائه المقاومة، وكما لا يمكن اعتباره جزءًا من تعويض الأمير عبد القادر عما عناه خلال سنوات سجنه في فرنسا، ولكن كان وراء المشروع دوافع سياسية واقتصادية تتمثل في رغبة فرنسا في تكوين إمبراطورية استعمارية في ما وراء البحار وتعزيز النفوذ الفرنسي في منطقة المشرق العربي[2] التي ظلت محطة تنافس وتجاذب بين القوى السياسية الأوروبية وكانت انجلترا من اكبر الطامعين في السيطرة على المنطقة باعتبارها إحدى أهم طرقها إلى مستعمراتها في آسيا وخاصة الهند. بالإضافة – طبعاً– إلى القيمة الإيديولوجية[3] التي

---

1 –جرانت وتمبرلي مرجع سابق، ص 353.

2 –يعود هذا النفوذ إلى اتفاقية الامتيازات بين سليمان القانوني وفرانسوا الأول (1535م).

3 –من ذالك أن الشاعر المعروف «لامارتين» وقف في مجلس النواب الفرنسي– وكان في ذلك الوقت عضواً فيه – يقول «إنه من الأولى لفرنسا أن تفكر في إقامة دولة مسيحية على منابع الأردن شاملة لجبل لبنان بشرط أن تكون القدس عاصمتها...».أنظر:

–محمد حسنين هيكل، المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1996، ص51.

بات يحملها نابليون الثالث في فرنسا في حماية الكاثوليك في الشرق بعد الدور الذي لعبه في توحيد إيطاليا[1].

ولا يمكن أن نهمل العامل الشخصي المتعلق بشخص الإمبراطور الفرنسي نابليون الثالث نفسه فقد كان– وهو سليل نابليون بونابرت – يحلم بإنشاء إمبراطورية فرنسية تصل مغرب البلاد العربية بمشرقها[2].

بالإضافة إلى الدوافع السياسية نجد مصالح فرنسا الاقتصادية التي كانت تزداد في المنطقة خاصة مع بروز نشاط فرديناند دي لِسَبْس[3] في المنطقة سواء في مشروع قناة السويس أو المشاريع التي أقامها في الشام وخاصة مشروع الطريق المعبّد بين بيروت ودمشق التي تم إنجازها سنة 1862 م وساهمت في تمويله البورجوازية الشامية[4]. وكذلك رغبة فرنسا في السيطرة على زراعة القطن في السهول السورية[5].

---

1 –منجد، جذور ومقومات التدخل الدولي في لبنان، مقال سابق.

2 –يورد عبد الجليل التميمي(نقلا عن André Martel) تفكير نابليون الثالث في إمكانية ضم تونس وطرابلس إلى الجزائر وتكوين مملكة عربية. وإذا أضفنا إلى هذا التصور مشروع المملكة العربية في سورية تبقى مصر نظريا هي الفاصل بين المملكتين لكنها عمليا هي همزة وصل بينهما لأن أسرة محمد علي تعتبر حليفة تقليدية لفرنسا.

– راجع: Abdeljelil Temini, Recherches et documents d'histoire maghrébine, In: Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°12, 1972. pp. 160,161.

3– دي لِسَبْس فرديناند ماري، فيكونت: (De Lesseps, Ferdinand) (1805–1894) دبلوماسي فرنسي، ومهندس. صمم مشروع قناة السويس ونفذه في 1869، وهو صاحب مشروع خليج قابس الذي جنَّد له الأمير ليعلن موافقته علنا، كما أنه حاول شق قناة بنما ولكن المشروع تخللته أزمات، واتُهم دي لِسَبْس بالاختلاس وسجن ثم خففت التهمة إلى الإهمال.

انظر: نصار وآخرون، م3، مرجع سابق، ص 1561.

4– إتيين، مرجع سابق ص 310.

5– منجد، جذور ومقومات التدخل الدولي في لبنان، مقال سابق.

وكان من المغريات الاقتصادية التي شدت أنظار الدوائر الرأسمالية الغربية هو ازدهار إنتاج وصناعة الحرير[1]، فقبيل عام 1860 كانت دمشق تشكل أكبر مركز صناعي لإنتاج الحرير والاتجار به في العالم، وكانت دمشق تواكب آخر التطورات التقنية الصناعية العالمية في ذلك الوقت أي نظام الجاكار[2] الذي كان أول من أدخله إلى دمشق آل بولاد المشهورين بصناعة الحرير البولادية، وذلك بغية زيادة الإنتاج كماً ونوعاً، واكب ذلك ازدهار تجاري واقتصادي كبير وتوسُّع للأسواق، لأن مادة الحرير الخام كانت متوفرة وبأسعار زهيدة بدمشق، مما انعكس على رخص وجودة الإنتاج الدمشقي ما أكسبه شهرة عالمية. وقد ساهم بعملية الازدهار تلك وجود مرفأ صيدا وقربه من دمشق[3]. وتجدر الإشارة إلى أن صناعة الحرير بصفة خاصة والصناعات النسيجية بصفة عامة كانت تتحكم فيها العائلات المسيحية نظرا لعزوف المسلمين عن ممارسة مثل هذه الحرف إذ أنها كانت في نظر بعض المذاهب السنية حرف دنيئة مثلها مثل الصياغة والجزارة والدباغة وغيرها[4]. ويضاف إلى هذه الدوافع: الرغبة في السيطرة على سوق الجواد السوري نظرا لأهمية الجياد في البنية العسكرية الأوروبية (سلاح الفرسان)[5] .

إذن تضافرت عوامل سياسية واقتصادية وأخرى شخصية لتدفع بنابليون الثالث والفرنسيين للتفكير جديا بمشروع تكوين إمبراطورية جديدة في المشرق

---

1 – إتيين، مرجع سابق، ص 312.

2 – نسبة إلى المخترع جوزيف ماري جاكار Joseph Marie Jacquard(1752-1834) ميكانيكي فرنسي، ولد في ليون، اخترع نول جاكار الذي يحمل اسمه. من: Petit Larousse en couleurs, op.cit., p.1315.

3– إلياس بولاد، حوادث 1860 في لبنان ودمشق فتنة دينية أم مؤامرة سياسية غربية، مجلة النور، ع 239 2006/03/29، دمشق.

4– ليلى الصباغ، الحياة الاقتصادية للولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني، جم وتق عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية خلال العهد العثماني، زغوان، 1986، ص 107.

5– منجد، جذور ومقومات التدخل الدولي في لبنان، مقال سابق.

يكون على رأسها الأمير عبد القادر وتكون هي الحل للمسألة الشرقية التي تسببت في كثير من الحروب وإراقة الدماء[1].

بل ذهب البعض إلى تحديد معالم وخصائص هذه المملكة أو الإمبراطورية فهي تشمل بلاد العرب في المشرق باستثناء مصر وهي بالضبط المناطق التي كانت آنذاك مازالت خاضعة للدولة العثمانية وقد قُدِّر عدد سكانها ما بين 10 و12 مليون نسمة. وتضمن هذه الدولة الحقوق المدنية والسياسية لكل مكوناته البشرية وتستمد قوانينها المدنية من القانون النابوليوني [الفرنسي] وتعتمد النظام المتري الفرنسي، ويكون الفصل فيها بين السلطتين الروحية والزمنية بعاصمتين السياسة في بغداد والروحية في مكة[2].

بين المملكة العربية في سورية والمملكة العربية في الجزائر:

قام نابليون الثالث بزيارتين إلى الجزائر-كما مر معنا- فبعد هاتين الزيارتين التاريخيتين[3] اقتنع الإمبراطور بضرورة اتخاذ مبادرات قادرة على ترسيخ الهيمنة الفرنسية عن طريق جعلها مقبولة من قبل الجزائريين المسلمين. وكانت هذه المبادرات تكمن في احترام أملاك السكان المحليين وتنظيمهم الاجتماعي؛ ثم في تهيئة شروط التطور الذي يضمن سعادة عرب الجزائر مع ارتباطهم الوثيق أكثر فأكثر بفرنسا[4].

1-Ageron. op.cit. p.20.

2-Ibid. p.20.

3- يعتبر بابليون الثالث أول حاكم فرنسي تطأ قدماه أرض الجزائر منذ احتلالها في 1830. - انظر:
Daniel Revet, le rêve arabe de Napoléon III, l'Histoire, n° 140, janvier 1990.

4- فريمو، مرجع سابق، ص 87.

لقد شغلت نابليون مسألة الملكية الشخصية للأراضي بالنسبة للأهالي واشتداد عمليات انتزاعها ومصادرتها منهم[1]، ففي رسالة بعث بها إلى بيليسي[2] في 6 فيفري 1863 أمره فيها بــوقف مصادرة الأراضي وإعلان المساواة الكاملة بين الجزائريين والفرنسيّين والتصريح بأنّ فرنسا لم تكن في الجزائر لاضطهاد أهلها ولكن لتجلب إليهم الحضارة، وأن الجزائر لم تكن مستعمرة ولكن مملكة عربية، وإعلامهم بأن نابليون الثالث كان إمبراطور العرب كما هو إمبراطور الفرنسيّين[3].

وعلى العموم فإن نابليون الثالث حاول أن يجد توازنا بين الرغبة الجامحة للإمبريالية الفرنسية في التوسع والاستيطان بمختلف الوسائل، وبين دعوات مستشاريه من المستعربين وضباط المكاتب العربية إلى «ضرورة فهم المجتمع الجزائري ككيان له هويته وثقافته، وشخصيته التاريخية»[4].

والواقع أن نابليون الثالث كان يرى أن نجاح سياسته العربية مرهون بنجاح سياسته في الجزائر والمعروفة بالمملكة العربية فهو ومن خلال زيارته للجزائر حاول تكوين تجمع يضم ملوك وقيادات عربية (تونسية ومغربية) كما كان قناصلته في ليبيا وتونس يرصدون ويدعمون كل تحرك ضد الأتراك وكان عليه أن ينجح في

---

1 – بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية مرجع سابق، ص19،20.

2– بيليسي(Pélissier) دوق مالكوف ولد بــروان (فرنسا) سنة 1794، دخل الأكاديمية العسكرية في 1814، ترقي في الرتب العسكرية سريعا، شارك في حملة اسبانيا وثورة استقلال اليونان وكذلك حملة احتلال الجزائر 1830، ثم غادر الجزائر ليعود إليها سنة 1839، نفذ في حق الجزائريين محرقة غار الفراشيش بالظهرة التي أشرنا إليها سابقا، دافع عنه بيجو عندما وبخه البرلمان ووزير الحربية صولت على فعلته هذه، والتي لم تحل دون تقدمه في الرتب، فقد رقي إلى جنرال في السنة الموالية (1846)، عين حاكما عاما للجزائر في نوفمبر 1860 واستمر في منصبه هذا حتى وفاته في ماي 1864.

– أنظر: Narcisse, op.cit. p.441-446.

3– Pillorget, op. cit., p. 30-36.

4– مالكي، الحركات الوطنية والاستعمار، مرجع سابق، ص 180.

أن يصبح «سلطان العرب». لقد كان الإمبراطور يريد أن يظهر بمظهر منقذ العرب وحامي حمى «الإسلام الجزائري»[1].

أثناء زيارة الأمير لفرنسا سنة 1865– والتي صادفت عودة نابليون الثالث من زيارته الثانية للجزائر– تردد اسمه كثيرا في الساحة الفرنسية كمرشح لنيابة الملك على مملكة عربية في الجزائر؛ فقد كتب إيميل دي جيراردان[2] –وكان من المقربين من القصر– كتب في صحيفة (لابرس– la presse) مقالا جاء فيه «إن إقامة مملكة في الجزائر يتولى فيها التابع الكبير لفرنسا الأمير عبد القادر منصب نائب الملك سيكون مفخرة لفرنسا وحضارتها ..».

وكان رد الصحافة الباريسية سريعا وعنيفا على هذا الترشيح وذهبت إحدى الصحف إلى اعتبار أن هذا «تمهيداً للتخلي» (عن الجزائر) ورأت صحيفة أخرى «أن دور الأمير عبد القادر يكون مفيدا لفرنسا في المشرق أكثر منه في الجزائر» وعلى الرغم من صدور تكذيب رسمي لهذه الشائعات في صحيفة (لومونيتر le moniteur) الشبه رسمية، إلا أن الصحافة الباريسية ظلت طيلة صيف 1865 تخوض في الموضوع وتهاجم السياسة العربية للإمبراطور[3].

1–Annie Rey Goldzeiguer, Le Royaume Arabe la politique algérienne de Napoléon III 1861-1870, Sned, Alger, 1977, p.128.

2– إيميل دي جيراردان(Emile de Girardin) (1809–1881) صحفي وسياسي فرنسي مؤسس صحيفة (la presse) سنة 1836. كان من أشد المدافعين عن حرية الصحافة، زار الأمير عبد القادر في سجنه ببو، وعبر عن استيائه من المعاملة الوحشية التي عاملته بها الحكومة الفرنسية. كان من المؤيدين للسياسة العربية لنابليون الثالث. انظر:

– الموسوعة الحرة ويكيبيديا: http://fr.wikipidia.org/wiki/%89mile_de_girardin

و: Ahmed Bouyerdene, Studia Islamica, nouvelle édition/new series, 2, 2011, p. 127.

3 – Goldzeiguer, op cit. p.401.

مواقف مختلف الأطراف من المشروع:

لقد سبق وأشرنا إلى أن فكرة المشروع قديمة، وهي فكرة فرنسية أصلا، وبطبيعة الحال فلم تكن فرنسا تهدف من وراءه سوى خدمة لمصالحها، حتى ولو كان ذلك يتطلب تفكيك الدولة العثمانية. وما دام الأمر يتعلق بتفكيك هذه الدولة الشرقية ووراثة ممتلكاتها فهذا لا يعني فرنسا وحدها فقط بل يعني أطرافا أخرى وعلى رأسها بريطانيا.

وقبل التطرق إلى مواقف الأطراف المعنية بهذه المسألة فلا بد أن نشير إلى انه بالقدر الذي برز فيه –داخل فرنسا– تيار قوي يؤيد الطرح ويتحمس له[1]، فإنه كان من الفرنسيين من يتوجس من الأمير، فنجد المترجم «بولاد» يكتب عنه تقريرا مطولا في أوت 1857، يحذر فيه الحكومة الفرنسية من المبالغة في الطمأنينة إلى موقف الأمير، و«يتهم» الأمير بأنه يرغب في بعث «الشعور القومي العربي الفعال». كما تشير تقارير أخرى إلى عدم إخلاص الجزائريين[2]. وهكذا فإن فرنسا نفسها كانت منقسمة حيال المشروع، ولعل هذا هو أحد أسباب فشل المشروع في النهاية.

أما عن بريطانيا فكانت –كما أسلفنا– تنتهج سياسة المحافظة على الدولة العثمانية، والوقوف في وجه أي محاولة لتفكيكها سواء جاءت من روسيا أو من محمد علي (الميّال لفرنسا) أو من فرنسا نفسها، فمثلا كانت بريطانيا تعارض

1– كان من بين المؤيدين للفكرة المهندس دي لِسَبْس صاحب مشروع قناة السويس وكان من أصدقاء الأمير. انظر:

- Jean-Louis Marcot, Abd el-Kader et la modernité, Studia Islamica, nouvelle édition/new series, 2, 2011, pp. 193-195.

2– إتيين، مرجع سابق، ص 309، 315، 328.

مشروع قناة السويس وتشكك في نجاحه ولما تم المشروع ونجح، استطاعت بعبقرية ساستها أن تسرق المشروع كله من فرنسا عندما أقدمت على شراء أسهم الخديوي في الشركة، وبذلك مهدت الطريق للسيطرة على مصر وفرض نظام الحماية عليها في 1882. وكانت الحكومة البريطانية قد غيرت نظرتها للأمير بعد أسره فكانت ترى فيه مجرد صديق لفرنسا بل ذهب القنصل البريطاني في دمشق إلى اعتبار تفاقم الفتنة ناتج عن تواطؤ «لانوس»[1] وعبد القادر[2].

والواقع أن بريطانيا كانت على استعداد لإتمام صفقة مع فرنسا دون المساس بمبادئ سياستها في المنطقة وخاصة تجاه الدولة العثمانية – على الأقل حتى مؤتمر برلين 1878- وهذا يعكس سياستها القائمة على البراغماتية والتي عبر عنها فيما بعد مهندس سياستها الاستعمارية دزرائيلي[3]: «ليس هناك أعداء دائمون وليس هناك أصدقاء دائمون وإنما هناك مصالح دائمة»[4]. وقد جرت محادثات بين باريس ولندن في مسألة الخيار بين المرشحين المحتملين لولاية سورية، فؤاد باشا والأمير فكانت بريطانيا تميل إلى المرشح الأول فؤاد باشا[5].

1- لانوس هو القنصل الفرنسي في دمشق وقتئذ.

2- نفسه، ص325.

3- بن يامين دزرائيلي(Benjamin Disraeli) (1804-1881) سياسي ورجل دولة بريطاني من أصل يهودي دخل البرلمان كنائب عن حزب المحافظين سنة 1837.عين رئيسا للوزراء في 1868 وفي ما بين 1874 و1880. عرف بسياسته المحافظة واندفاعه الاستعماري، تمكن -بدعم من آل روتشيلد- من شراء أسهم الخديوي اسماعيل في شركة قناة السويس، مما مهد الطريق للسيطرة على مصر، وقف بحزم تجاه الأطماع الروسية في البلقان. توفي بلندن عام 1881. أنظر:

الكيلاني، مرجع سابق، ج2، ص 739-740.

4- فضيلة دفوس، العلاقات الإيرانية-الإسرائيلية من شهر العسل إلى الطلاق البائن، جريدة الشعب الجزائرية، ع 15733، 29 فيفري 2012.

5 – إتيين: مرجع سابق، ص 323.

وبالنسبة لروسيا فكانت من أشد المتحمسين لتفكيك الدولة العثمانية وكان قيصرها «نيقولا الأول» هو من أطلق عليها تسمية الرجل المريض، وباستثناء رغبتها في الإبقاء على إدارتها للأماكن المقدسة في فلسطين، لم تكن لها مطامع إقليمية في البلاد العربية وإنما كانت أطماعها في المناطق العثمانية المتاخمة لحدودها هذا فضلا عن حلمها القديم الجديد في السيطرة على المضايق والوصول إلى المياه الدافئة وخاصة البحر المتوسط. ولذا فالمشروع لم يكن يعنيها بشكل مباشر.

موقف الأمير من المشروع الفرنسي:

عندما سئل الأمير هل سمع عن ما تكتبه الصحافة الفرنسية عن ترشحه لحكم سورية ردَّ قائلا: «نعم وإن لم أكن مخطأ فهذا هو أحد الأسباب الرئيسية لما يبديه الأتراك من غيظ تجاهي وتنكيد لي. إنني أنهيت مسيرتي السياسية ولا أطمح إلى سلطان على البشر...»[1].

هذه واحدة من الكتابات التي تحدثت عن موقف الأمير من المقترحات الفرنسية، ويمكن اعتبار أن جلها لم تعبر بوضوح عن رد الأمير الصريح (القبول أو الرفض).

ولكن نابليون الثالث أراد أن يعرف موقف الأمير ومدى استعداده للعب دور سياسي من جديد، فكلف الجنرال فليري[2] بهذه المهمة، فطلب هذا الأخير من

---

1 – Poujoulat, op.cit.pp.444, 445.

وإتيين، مرجع سابق، ص 323.

2– Émile Félix Fleury جنرال فرنسي (1815–1884) كان من المقربين من نابليون الثالث وكان كبير سائسي خيله. عضو مجلس الشيوخ في 1865. كلف بمهام دبلوماسية آخرها سفيرا للإمبراطورية لدى روسيـــا. من: =

إسماعيل أوروبان[1]-الذي كان مستشارا للإمبراطور في الشؤون العربية- سبر موقف الأمير من مسألة تكوين مملكة عربية مستقلة في سورية يكون هو على رأسها[2]، فكان الرد:«... الرفض القطعـــي والجازم حسب قول إسماعيل أوروبان...»[3].

والواقع أن الأمير كان حَذِرًا في مواقفه كلها، ولم يكن يريد أن يصبح لعبة في يد فرنسا أو أن يؤدي دور الدمية[4]. وفي اعتقادنا هناك عدة عوامل جعلته يفكر كثيرا في قبول المشروع أولها: كيف يمكن له أن يصبح حاكما في وطن المنفى من جديد بعد أن وضع السلاح وتعهد بأن لا يعود لمقاومة من سلبوا منه صولجان الحكم في وطنه ومسقط رأسه؛ ولطالما عبر عن زهده في الدنيا وابتعاده عن السياسة. وثانيها: هو توجسه من العثمانيين الذين كانوا يراقبونه ويخشونه. وثالثها: وهو أن الأمير كان يدرك أبعاد وخبايا سياسة الدول الأوروبية والتي كانت كلها تهدف إلى تفكيك الدولة العثمانية والانقضاض على ممتلكاتها[5]؛ وما كان للأمير أن يسهم في تفكيك الدولة العلية ولعل موقفه هذا ناشئ عن احترامه لمبدأ الخلافة الإسلاميّة. وهناك عامل آخر أراه من الأسباب التي دفعت الأمير إلى رفض المشروع وهو أن

F. Choisel in Dictionnaire du Second Empire. Fayard, 1995 نقلا عن: http://www.napoleontrois.fr

1 – كان اسمه توماس أوروبان(Thomas Urbain) ولكن غيره إلى إسماعيل بعد أن أعتنق الإسلام وتزوج عربية وأصبح من أنصار «الجزائر للجزائريين» ونشر كتابا بهذا العنوان، وكان مترجما للدوق دومال، ثم أصبح مترجما لنابليون الثالث، ويقال أنه أثر عليه في سياسته نحو الجزائر تأثيرا كبيرا. أنظر:

– سعد الله، محمد الشاذلي القسنطيني، مرجع سابق، ص 39.

2– Bruno Étienne, « Les projets d'un « royaume arabe » au Bilâd al-Shâm : histoire d'un malentendu entre la France et l'émir Abd el-Kader », in Pierre-Jean Luizard, Le choc colonial et l'islam, Les politiques religieuses des puissances coloniales en terres d'islam, La Découverte, Paris,2006, p. 469-483.

3 –Ageron, op.cit., P.29.

4 –Benaissa, op cit. p.52.

5– ساحلي، مرجع سابق، ص 36.

قطاعا لا يستهان به من الدمشقيين لم يهضموا موقف الأمير من الفتنة حتى أنه هوجم لفظيا من طرف بعض الرعاع حسب ما ورد في احدى مراسلات الديبلوماسيين البريطانيين[1]، بل ذهبت بعض الكتابات الفرنسية إلى اعتبار أن سكان المدن السورية وخاصة دمشق أصبحوا يكنون الضغينة والكراهية للأمير لأنه حال بينهم وبين النصارى[2]. ولا ننسى أن الرأي العام الفرنسي كان أيضا منقسما حول المسألة أي أن الأمير كان يدرك عدم حصول إجماع حول الموضوع.

مآل المشروع:

لقد رأينا أن المشروع الفرنسي ارتبط أساسا بشخصين هما الإمبراطور نابليون الثالث صاحب الفكرة وأكثر المتحمسين له وبشخص الأمير عبد القادر نفسه «الأداة» المفترضة لهذا المشروع. فالأمير رفض المشروع كما مر معنا، ولم يتحقق مشروع الدولة العربية المستقلة عن الدولة العثمانية، فشل لعوامل عديدة منها أن المشروع في حد ذاته كان يمثل تناقضات السياسة الفرنسية[3]، فهي من جهة احتلت الجزائر وحاربت الأمير وحالت بينه وبين تكوين دولة مستقلة ومن جهة أخرى تقترح عليه ولاية سورية. لقد تهرب الأمير من المشروع سنة 1860 عندما عرض عليه لأول مرة ورفضه نهائيا سنة 1865 وبهذا الرفض يكون الأمير قد وضع حدا للسياسة العربية لنابليون الثالث لأن الأمير كان «الأداة» الوحيدة والممكنة لذلك[4]، ثم

1- الخازن، مصدر سابق، ص 300.

2- انظر: .Poujoulat, op.cit.P. 429 و .Ageron, op.cit., P.24 والواقع أن مثل هذه الاستنتاجات تدخل في إطار سياسة دأب عليها الكثير من الكتاب الأوروبيين للتفرقة بين العرب والأتراك من جهة، وبين المسلمين والنصارى من جهة أخرى؛ فالذين قاموا بالاعتداء على نصارى دمشق هم دروز قدموا من خارج المدينة مع بعض رعاعها.

3 –Ageron, op.cit., p.30.

4– Idem. P.29.

أن الإمبراطور نفسه فقد الحكم في فرنسا بعد هزيمته وأسره على يد الألمان في 1870، ولم تتمكن فرنسا من تحقيق هذا الطموح لكون المنطقة بكاملها سرِقت منها فيما بعد، نظرا لاكتساح السياسة البريطانية للمنطقة وتفوق اللاعب البريطاني، الذي قدم مشروعا آخرا تمثل في مشروع الثورة العربية بقيادة الشريف حسين[1]. وقد ضمت الثورة العربية في صفوف قيادتها أحد أحفاد الأمير عبد القادر وهو الأمير عبد القادر بن علي الذي حاول تجسيد حلم الدولة العربية القومية المستقلة دون جدوى[2].

نقد المشروع:

إن المتتبع لمسار علاقات القوى الأوروبية – بما في ذلك فرنسا – مع الدولة العثمانية يلحظ أنها كانت مبنية على المصالح المختلفة لهذه القوى، فالصراع الذي نشب بين الطرفين على مدى قرون كان يحركه عاملان، عامل تاريخي وآخر اقتصادي، فالعامل التاريخي يتمثل في الصراع الحضاري بين الغرب المسيحي والشرق الإسلامي سواء كان تحت مسمى مباشر كالحروب الصليبية أو تحت مسمى مقنع كالمسألة الشرقية، ولم يخف الأوروبيون رغبتهم في القضاء على الإسلام ونشر المسيحية، فالفرنسيون اعتبروا احتلالهم للجزائر استمرارا للحروب الصليبية[3].

1- الحسين بن علي (الشريف) (1854-1931) ملك الحجاز ومؤسس الأسرة الهاشمية وآخر من حكم مكة من الأشراف الهاشميين. نفي إلى اسطنبول حيث عين في مجلس الشورى، عين أميرا لمكة خلفا لعمه، توترت علاقته مع الأتراك إبان حكم الإتحاديين، حاول القوميون العرب في سورية استمالته كما كاتبه البريطانيون ووعدوه بدولة عربية إن هو ثار على الأتراك، فأعلن الثورة العربية الكبرى التي حررت بلاد الحجاز وبلاد الشام والعراق من الدولة العثمانية لكن البريطانيين حنثوا بوعدهم. فقد نفوذه بالجزيرة لصالح ابن السعود.

- انظر: الكيلاني، مرجع سابق، ص 541-542.

2- ألان كريستلو، مقال سابق.

3- سعد الله، الحركة الوطنية، ج1، مرجع سابق، ص 233.

والمشروع الفرنسي لتولية الأمير على بلاد الشام لا يخرج عن هذا الإطار وهو احتلال وتقسيم ما تبقى من ممتلكات الدولة الإسلامية؛ وحتى مشروع المملكة العربية لم ينجح وما كان له أن ينجح بسبب عدم وضوح سياسة نابليون الثالث والداعين إلى المشروع وعدم تعاون الحكام العامين للجزائر، وكذلك عدم قدرتهم على كبح جموح غلاة المعمرين[1]؛ فقد كان يرى دعاة المملكة العربية فيها وسيلة لإخضاع الجزائريين بأقل الخسائر؛ فنابليون الثالث يمكن وصفه بالطامح الكبير الذي اصطدم بصخرة الواقع.

وإذا كان نابليون الثالث قد فشل في مشروع المملكة العربية الذي كانت قاعدته أرض الجزائر وهي بيده، فكيف له أن ينجح في مشروع على أرض مازالت بيد أصحابها وهي محط أنظار قوى أوروبية أخرى كانت ترى أن الأمير هو صديق لفرنسا وهو ليس المرشح الوحيد لمشروع كهذا[2].

وما كان لهذا المشروع أن ينجح في ظل غياب أهم طرفيه، ونقصد بذلك (العاهل) المفترض[3] للمملكة (المشروع)، وصاحبة الأرض والشأن وهي الدولة العثمانية.

فالأمير عبد القادر لم يسع إلى الحكم بعد أن اضطر إلى إنهاء مقاومته في الجزائر، ولم يبد لا الرغبة ولا الاستعداد للعب دور سياسي في إطار هذا المشروع.

1- سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، مرجع سابق، ص25.

2- طرحت بريطانيا فؤاد باشا كمرشح لولاية الشام .أنظر:

-إتيين، مرجع سابق، ص 328،327.

3- يذكر إتيين انه كان يتم تدارس مستقبل سورية في أعقاب حوادث الستين من خلال مراسلات وتقارير الدبلوماسيين والعسكريين الفرنسيين في المنطقة ولم يبلغ الأمير بالأمر مطلقا. انظر:

-إتيين، مرجع سابق، ص 332.

وقد بادرت الصحافة الفرنسية وما عرف بالــ(حزب القادري) إلى الدعاية للمشروع وترشيح الأمير له دون استشارته أو معرفة رأيه فيه.

كما أن الدولة العثمانية لم يعرض عليها المشروع بالرغم من أنه لم يكن مشروعا سريا وكانت ستقاوم تنفيذه بكل الطرق، وهذا طبعا لو قبله الأمير خاصة وأنه يتعلق بأهم الولايات العثمانية –أي ولاية الشام– وهي آخر ما تبقى لها من سلطة مباشرة على البلاد العربية.

ولو كانت فرنسا فعلا صادقة في أقوالها وفي ظاهر سياستها لبادرت إلى تنفيذ مشروع المملكة العربية عندما وضعت يدها على سورية في أعقاب الحرب العالمية الأولى؛ فبعد أن تمكنت– هي وبريطانيا– من تقسيم الدولة العثمانية وسلخ البلاد العربية عنها، راحت تمعن في التفتيت فقد «كانت باكورة أعمال الجنرال غورو[1] إحداث دولة لبنان الكبير ثم تأسيس دولة العلويين، بموجب قرارين بتاريخ 21 آب [أوت] 1920، ثم تلا ذلك إقامة دولة دمشق فدولة حلب وتبعها إقامة دولة الدروز بتاريخ 4 آذار [مارس] 1921.»[2].

1–هنري أوجين(Henri Eugène Gouraud) (1867–1946) جنرال فرنسي ولد وتوفي في باريس، أتجه إلى السلك الاستعماري فعمل في مالي والمغرب. كان قائدا للجيش الرابع في حملة الدردنيل جرح وبترت ذراعه اليمنى. عين مفوضا ساميا في سورية من 1919 إلى 1923، وجه إنذارا إلى فيصل ولم ينتظر الرد وزحف على دمشق واحتلها بعد تغلبه على يوسف العظمة في ميسلون. انظر:

– الكيلاني، مرجع سابق، ص 377.

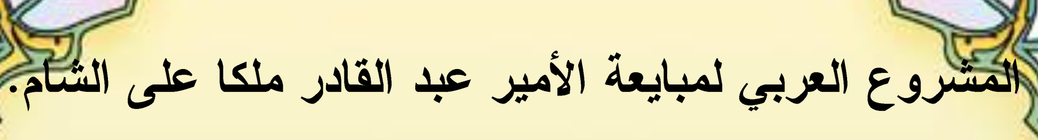
2– أحمد معاذ الخطيب الحسني، دور السياسة الدولية في إثارة النعرات الطائفية والوعي الإسلامي تجاهها، بحث مقدم لنيل درجة الدبلوم في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، الأكاديمية السورية الدولية، 2010، (غ م)، ص 3.



الفصل الثالث:

المشروع العربي لمبايعة الأمير عبد القادر ملكا على الشام

(1878-1877)



المشروع العربي لمبايعة الأمير عبد القادر ملكا على الشام.

1- ظهور الوعي القومي بالمنطقة.
- بوادر النهضة العربية.
- التأثيرات الغربية في الحركة القومية العربية.

2- شخصية الأمير ومكانته بين أهل الشام.
- مكانة الأمير لدى نصارى الشام.
- مكانة الأمير لدى مسلمي الشام.

3- الحركة الاستقلالية الشامية وترشيح الأمير لقيادتها.
- ظروف قيام الحركة الاستقلالية.
- حركة وجهاء الشام.
  - المشاركون في الحركة.
  - نشاط حركة الوجهاء.

4- بين الأمير عبد القادر والزعيم اللبناني يوسف كرم.

1- ظهور الوعي القومي بالمنطقة.

لم يكن العرب يشعرون بتفوق الغرب المسيحي إلا عندما اختل التوازن بين الشرق الإسلامي الممثَّل في الدولة العثمانية والغرب المسيحي الممثَّل في القوى الاستعمارية الأوروبية الناشئة بدءا بإسبانيا والبرتغال ثم فرنسا وبريطانيا وروسيا وغيرها، وقد تجلت مظاهر هذا الاختلال في ظهور المسألة الشرقية وتداعياتها على الدولة العثمانية التي انتقلت من مرحلة الهجوم والتفوق إلى مرحلة الدفاع والتراجع وفقدت الكثير من أراضيها وممتلكاتها في آسيا وشرق أوروبا والمغرب العربي.

بوادر النهضة العربية:

إلا أنه وإلى غاية النصف الأول من القرن التاسع عشر كان الشعور بتفوق الإسلام وقيمه قائما يرافقه الإعجاب بتفوق الغرب في العلوم والصناعة، وتجلى هذا في أدبيات دعاة الإصلاح الأوائل الذين نشئوا في كنف الثقافة الإسلامية مثل: حمدان خوجة[1] وابن العنابي[2] وخير الدين التونسي[3] وغيرهم من رواد النهضة ببلاد المغرب

1- حمدان بن عثمان خوجة: (نحو 1189-1255هـ/1775-1840م)، كاتب سياسي، من رواد الحركة الوطنية الجزائرية، ولد ونشأ بمدينة الجزائر، درس الشريعة وأصبح أستاذا فيها. زار البلقان واسطنبول كما زار فرنسا قبل الاحتلال وتعلم الفرنسية، نظم بعد الاحتلال الفرنسي المقاومة السياسية في إطار «لجنة المغاربة» ، فنفاه الفرنسيون إلى فرنسا ومنها انتقل إلى اسطنبول حيث اشتغل بالتأليف والترجمة وكان أحيانا يترجم للسلطان. من آثاره «المرآة» و«اتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس عن الوباء». انظر:

- نويهض، مرجع سابق، ص 136، 137.

2- محمد بن محمود بن حسين بن محمد:(1189هـ/1775م-1267هـ/1850م) رائد التجديد وداعية الاصلاح الاجتماعي والسياسي في العالم الإسلامي، ولد بمدينة الجزائر وتولى وظيفة القضاء الحنفي، كما عمل كاتبا وسفيرا لدى بعض دايات الجزائر، سافر إلى المشرق حاجا ولاجئا سياسيا ثم عاد إلى الجزائر قبيل الاحتلال، نفاه الفرنسيون فاستقر بمصر حيث ولاه محمد علي القضاء. من آثاره «السعي المحمود في نظام الجنود» و«شرح الدر المختار». لمزيد من التفاصيل عن حياته وآثاره انظر:

سعد الله، رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.

3- خير الدين باشا التونسي، وزير، مؤرخ، يلقب بـ«أبو النهضة التونسية»، من رجال الاصلاح الإسلامي شركسي الأصل، قدم إلى تونس صغيرا كمملوك لدى الباي. تعلم بعض اللغات وتقلد مناصب عالية منها =

وجمال الدين الأفغاني[1] والطهطاوي[2] وغيرهما من رواد النهضة ببلاد المشرق، إذ أكدوا على سمو الإسلام وتفوق مبادئه مع الدعوة إلى الانفتاح بالإفادة من مصادر قوة الغرب في العلم والاقتصاد، وربط الحرية والحكم البرلماني بمفاهيم إسلامية كالشورى والاختيار وإيضاح مساوئ الاستبداد[3].

وبالنسبة لبلاد الشام لم يكن الأمر يختلف فيها عن بقية بلاد السلطنة، مع فارق بسيط لكنه مهم وهو كون المجتمع الشامي متعدد الطوائف، فهو يتكون أساسا من المسلمين ومن النصارى.

إلا أنه ومع الحوادث الخطيرة التي شهدتها المنطقة طوال القرن التاسع عشر نتيجة لعوامل خارجية وداخلية؛ تزعزعت ثقة المسلمين بأنفسهم وبدولة «الخلافة»

الوزارة تزعم حركة الصلاح في تونس لكنه صادف عراقيل فاضطر إلى ترك الوزارة، استدعاه السلطان عبد الحميد الثاني وولاه الصدارة لكنه استقال منها بعد أقل من عام توفي بالآستانة.

- انظر: الزِركْلي، ج2، مرجع سابق، ص 327.

- وسمير أبو حمدان، خير الدين التونسي ، دار الكتاب العالمي، بيروت، 1993، ص 11-37.

1- محمد بن صفدر الحسيني، جمال الدين(1838-1897): فيلسوف الإسلام في عصره، وأحد الرجال الأفذاذ الذين قامت على سواعدهم نهضة الشرق الحاضرة، ولد في أسعد آباد[كذا] بأفغانستان ونشأ في كابل. تلقى العلوم العقلية والنقلية وبرع في الرياضيات، كان عارفا باللغات العربية والأفغانية والفارسية والسنسكريتية والتركية، وتعلم الفرنسية والإنجليزية والروسية. طاف ببلدان عديدة في الشرق والغرب منها الهند وإيران ومصر وتركيا وروسيا وألمانيا وبريطانيا وفرنسا وأقام في عواصمها فترات متفاوتة. أصدر مع تلميذه محمد عبده جريدة «العروة الوثقى» بباريس. لم يكثر من التصنيف اعتمادا على ما كان يبثه في نفوس العاملين وانصراف إلى الدعوة بالسر والعلن. له «تاريخ الأفغان» و«رسالة الرد على الدهريين». أنظر:

- الزِركلي، مرجع سابق، ج6، ص 168، 169.

2- الطهطاوي، رفاعة رافع: (1801-1873)، أبرز رواد النهضة الفكرية العربية في مصر، ولد بطنطا بصعيد مصر، درس في الأزهر وسافر إلى فرنسا ضمن بعثة علمية سنة 1826 ومكث هناك خمس سنوات فتعلم الفرنسية، دوَّن رحلته في كتاب: «تخليص الإبريز في تلخيص باريز»، عين رئيسا لتحرير جريدة «الوقائع المصرية»، كان من المدافعين عن تعليم المرأة. أنظر:

- نصار وآخرون، م 4، مرجع سابق، ص2172،2171.

3- عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربية دراسة في الهوية والوعي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط3، بيروت، 1986، ص 141.

العثمانية. فقد ظهر تفوق الغرب المسيحي على الشرق الإسلامي في ميادين النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلوم والتكنولوجيا، فضلاً عن العسكرية، مقابل فشل عثماني (إسلامي) في إحداث تغيرات جذرية تستجيب لهذا التحدي[1].

بدأت مظاهر الوعي القومي العربي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على شكل تطور في التعبير عن الهوية العربية، وقد كانت بدايتها في الانتقال الذي عرفته اللغة العربية على إثر اختلاط العرب بأهل التمدن الحديث واقتباس العلوم التطبيقية المبنية على المشاهدة والاختبار واقتفاء آثارهم في إنشاء المطابع والجرائد، وقد حمل مظاهر التمدن هذه إلى البلاد العربية نصارى الغرب، وكان نصارى الشام أسبق من المسلمين لاقتباسه[2]. كما ظهرت جمعيات ثقافية تعتني بالعربية مثل: جمعية التهذيب(1845–1846م) والجمعية الشرقية(1850) والجمعية السورية (1847–1852م)[3]، وكان منتسبو هذه الجمعيات من النصارى كما أسلفنا، ثم تجلى الاتجاه الوطني في الجمعية العلمية السورية (بعد 1852–1868م) التي ضمت أعضاء من مختلف الطوائف وعملت على نشر العلوم والفنون دون التطرق للمسائل الدينية والسياسية[4].

التأثيرات الغربية في الحركة القومية العربية:

عندما بدأت فكرة القومية تزحف على ولايات السلطنة العثمانية المسيحية – خاصة في البلقان– كانت بلاد الشام ترزح لعدة قرون تحت الحكم العثماني. وكانت علاقة بلاد الشام بالحكومة المركزية باسطنبول أوثق من أي منطقة أخرى في السلطنة[5]. إلا أن هذا الوضع لم يستمر وبدأت الأفكار الغربية الجديدة تتسرب إلى

1– سنّو، مرجع سابق، ص 32.

2– زيدان، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر،ج.2، ط.3، مطبعة الهلال، مصر، 1922، ص 121.

3– الدوري، مرجع سابق، ص 149.

4– نفسه، ص 150.

5– سنّو، مرجع سابق، ص 31.

المنطقة. وكان لحملة إبراهيم باشا على بلاد الشام وفترة حكمه لها أثر واضح على هذا التحول خاصة لدى نصارى الشام، فأثناء الاحتلال المصري لبلاد الشام وفي أعقابه، شهدت المنطقة نشاطا كثيفا للإرساليات التبشيرية الأجنبية خاصة الفرنسية والأمريكية اللتين «قدر لهما أن تحتضنا البعث العربي وترعياه»[1].

وقد ساهمت حملة محمد علي باشا على الشام في تبلور حركة القومية العربية؛ التي انتعشت كثيرا في غياب الرقابة العثمانية، وتوسع نشاط الإرساليات التبشيرية الأجنبية خاصة في مجالات التعليم، ولاقت التشجيع من إبراهيم باشا، فانتعشت اللغة العربية وقامت حركة أدبية وفكرية كان روادها من نصارى بيروت وجبل لبنان، ثم تحولت هذه الحركة من الأدب إلى السياسة[2].

كل هذا كان يحدث مع تزايد وتيرة التدخل الغربي في شؤون السلطنة الاقتصادية والسياسية وإجبارها السلطان على إدخال إصلاحات جذرية (مست خاصة الجوانب الاقتصادية والسياسية) وكان لها أثر واضح على التركيبة الاجتماعية للمجتمع الشامي. هذا بالإضافة إلى أن السلاطين والقادة الأتراك أخذوا هم أنفسهم يتطلعون إلى الأخذ بأسباب تقدم أوروبا، و«رأوا مصدر الخلل في تزايد دونيتهم العلمية والتقنية.. وسوف يصل الأمر بأكثرهم جسارة إلى حد تصور أن بعض مؤسساتهم قد أصبحت غير متوائمة مع عالم تطور سريعا»[3].

كان لانتشار تيار (القومية) السريع في أوروبا، والذي لاقى فيها قبولاً كبيراً، كما كان لإعلان حقوق الإنسان وحقوق المواطن تأثير كبيرٌ على الأقليات في السلطنة العثمانية. لذا جاهرت هذه الفئة بالتعبير عن مصالحها استناداً إلى دعم

1- جورج انطونيوس، يقظة العرب، تر ناصر الدين الأسد و إحسان عباس، ط8، دار العلم للملايين، بيروت، 1987، ص 97، 106.

2- سنو، مرجع سابق، ص 34.

3- روبير مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، ج2، تر بشير السباعي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1992، ص 461.

الغرب الذي ضغط على السلطنة العثمانية وطالبها بإجراء إصلاحات جذرية لصالح الذميين. وكان فرمان الإصلاحات في السلطنة يكرس مبدأ المساواة في الحقوق بين المسلمين والنصارى، مما أدى إلى مشاركة هؤلاء بتقاسم السلطة ــ شبه الحصرية بالفئات الإسلامية ــ وأتاح لأبنائهم حضوراً مؤثراً في مختلف المناصب الإدارية والقضائية وسواها.

وهكذا تضافرت عوامل داخلية وأخرى خارجية لبروز تيار قومي بدأ نشاطه في المجال الثقافي ليتحول تدريجيا إلى النشاط السياسي المستتر ثم السافر. وعلى الرغم من تباين نظرة المسلمين والنصارى لمسألة الارتباط بالسلطنة إلا أنهم كانوا يجمعون على ضرورة الإصلاح.

من المتنورين العرب الذين أخذوا وجهة الإصلاح وعملوا على إحياء الأدب العربي في بلاد الشام وعرفوا أبناء منطقتهم بعظمة الحضارة العربية نذكر: ناصيف اليازجي[1] الذي كان كاتباً للأمير بشير الشهابي ودرّس اللغة العربية لعدة أجيال؛ وابنه إبراهيم[2] الذي كان من أئمة النهضة الفكرية واللغوية وكان لقصيدته[3] –التي

1- اليازجي، ناصيف (1800-1871م): كاتب وشاعر عربي لبناني. يُعد واحداً من أعمدة النهضة. أعاد للعربية صفاءها القديم في عصر تألّبت فيه عليها عوامل الضعف والركاكة. أشهر آثاره: «مجمع البحرين» و«العَرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب» وقد حالت منيته دون إتمامه فأكمله من بعده ابنه إبراهيم.

أنظر :البعلبكي، مرجع سابق، ص 502.

2- اليازجي، إبراهيم (1847-1906م): صحفي ولغوي عربي لبناني. تتلمذ على أبيه الشيخ ناصيف، فكان واحداً من أبرز رجال النهضة العربية الحديثة. أصدر في مصر مجلة «الضياء»، ونقح ترجمة «العهد القديم» للآباء اليسوعيين، وأكمل شرح ديوان المتنبي الذي بدأه والده. من أشهر آثاره «نُجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد»، و«الفرائد الحسان من قلائد اللسان» وهو معجم لغوي.

انظر: نفسه.

3- قصيدة طويلة جاء في مطلعها:

تَنَبَّهُـوا وَاسْتَفِيقُـوا أَيُّهَا العَـرَبُ ... فقد طَمَى الخَطْبُ حَتَّى غَاصَتِ الرُّكَبُ

فِيمَ التَّعَلُّـلُ بِالآمَـال تَخْدَعُـكُـم ... وَأَنْتُـمُ بَيْنَ رَاحَـاتِ القَنَا سُلُـبُ

اللهُ أَكْبَـرُ مَا هَـذَا المَنَـامُ فَقَـدْ ... شَكَاكُـمُ المَهْـدُ وَاشْتَاقَتْكُمُ التُّـرَبُ =

أهاب فيها بالعرب أن ينتبهوا ويستفيقوا- أصداء واسعة في بلاد العرب وكذلك بطرس البستاني[1] الذي نادى بفكرة وطن سوري في نطاق الدولة العثمانية، وكان يرى أن السوريين سواء كانوا مسيحيين أم مسلمين هم أبناء وطن واحد وحث السوريين على تجاوز العصبية الدينية إلى العصبية الوطنية والى العصبية العربية، اللتين رآهما توحدان وتقويان[2]، وأبرز فكرة ارتباط الجماعة الوطنية بالعربية لأن العربية لغة وثقافة قاعدة مشتركة لأبناء الوطن[3].

وكان لاستقرار الأمير بالشام أثره الواضح على ظهور الوعي القومي بالمنطقة نظرا لتاريخه النضالي و لغزارة علمه وإطلاعه على نهضة وحضارة الغرب بسبب احتكاكه بالفرنسيين سواء في الجزائر أثناء مقاومته لهم أو في فرنسا أثناء أسره وبعد إطلاق سراحه. وتأثر بفكره الكثير من علماء المشرق منهم الشيخ محمد عبده[4] «الذي يتحدث رشيد رضا عن صلته بالأمير.. فيقول وكانت بين الرجلين صلات وأحاديث في شؤون المسلمين». ومنهم أيضا الشيخ عبد الرحمن عليش(ت 1930) شيخ الطريقة

=- انظر: ميشال جحا، سلسلة الأعمال المجهولة، إبراهيم اليازجي، ط1، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، 1992، ص 71.

1- البُستاني، بطرس (1819-1883م): لغوي وموسوعي وصحافي لبناني. يعتبر أحد أبرز وجوه النهضة العربية الحديثة. أهم آثاره: «محيط المحيط»، وهو معجم لغوي في مجلدين كبيرين، و«دائرة المعارف» (الأجزاء الستة الأولى). أنظر:

- البعلبكي، مرجع سابق، ص 105.

2- سنّو، مرجع سابق، ص 34.

3- الدوري، مرجع سابق، ص 147.

4- محمد عبده:(حسن خير الله، الشيخ الإمام)، (1845-1905). ولد في إحدى قرى محافظة الغربية، ونشأ بقرية «محلة نصر» بمحافظة البحيرة بمصر. حفظ القرآن في سن العاشرة، التحق بالجامع الأزهر في عام 1866 حيث التقى بجمال الدين الأفغاني. اشتغل بالتدريس بالأزهر وبدار العلوم. نفي بعد ثورة عرابي إلى خارج مصر ثلاث سنوات قضاها بين سورية وباريس وبلاد المغرب لم يتوقف خلالها عن نشاطه الاصلاحي. ثم عاد إلى مصر وعين في سلك القضاء والإفتاء ثم رئيسا لتحرير« الوقائع المصرية». كان مذهب الإمام محمد عبده يقوم على الإصلاح الديني، وإصلاح اللغة العربية، والإصلاح السياسي. أنظر:

- موسوعة المشاهير، مرجع سابق، ك1، ص 61-65.

الشاذلية الذي صحب الأمير في دمشق وكان من خاصته المقربين وهو الذي تولى تغسيله وتكفينه.[1]

2- شخصية الأمير ومكانته بين أهل الشام:

عندما استقر الأمير عبد القادر بالفيحاء دمشق طاب له فيها المقام، ووجد بها ما كان يصبو إليه بعد إطلاق سراحه واستعادة حريته، فقد آثر أن يقضي بقية حياته في أحضان مجتمع إسلامي عربي يستطيع التواصل معه، وهي الرغبة التي أعلنها عندما اضطر إلى وضع السلاح والتسليم للسلطات الفرنسية أواخر سنة 1847م. وفي دمشق تفرغ الأمير للعبادة والعلم ولم يسع إلى الحكم ولا طلب الرياسة أو الجاه على الرغم من إلحاح الفرنسيين عليه كما مر معنا ومع ذلك لم يتوان في الاستجابة لنداء الواجب كلما دعاه.

كان الأمير في دمشق سيدا عظيما، محترما من الجميع، له كلمة نافذة وصوت مسموع، وكان قصره الكبير موئلا لرجال الفضل، والعلماء والأعلام، ورجال الدين المبجلين، ودعاة الصوفية على مختلف نحلهم وبدعهم[2]. «والتحم الأمير مع أهل الشام حتى أصبح واحدا منهم..وفتح داره للزائرين والمحتاجين والعلماء. وأصبح مهوى الأفئدة ومطمح الأنفس»[3].

لقد كان الأمير يشعر بحاجة الناس إليه وبحجم المسؤولية الملقاة على عاتقه ليس فقط تجاه أتباعه وإنما تجاه كل أفراد المجتمع الشامي الذي فضل الإقامة بين ظهرانيه، لقد كان صاحب رسالة، «ولم يدخر أي فرصة لزيادة شعبيته وشهرته

1- عبد الباقي مفتاح، التعريف بكتاب المواقف للأمير عبد القادر الجزائري، مجلة أخبار معسكر، مرجع سابق.

2- المدني، مقال سابق، ص 5-8.

3- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ص 537.

كَوَلِيٍّ بّارٍ، وهو يضحي بالكثير من أجل نشر هذه الفكرة المسيطرة عليه»، كما عبر عن ذلك جورج بولاد في تقرير له عن الأمير بتاريخ 12 نوفمبر 1857م[1].

مكانة الأمير لدى نصارى الشام:

إن المكانة التي بلغها الأمير عبد القادر في العالم أجمع بعد توقف مقاومته إنما بلغها جراء موقفه المعروف مما عرف بـ(فتنة الستين) أو (حوادث الستين) والتي أنقذ فيها ما يقارب خمسة عشر ألف نسمة من النصارى من الموت المحقق[2]، وجنب الشام حربا أهلية لا تُعرف عواقبها. فمن البديهي أن يكسب الأمير قلوب النصارى في الشام وخارجها، ولئن انقسم المسلمون بين مؤيد ومبارك للعمل الذي قام به تجاه نصارى دمشق وبين مستغرب لهذا الأمر[3]، فإن النصارى يجمعون على أن ما قام به الأمير يعتبر عملا بطوليا وتاريخيا.

وبعد ذلك أصبح وجوده في دمشق يشكل ضمانة للرعايا المسيحيين ولحفظ الأمن وأنه إذا غادر المدينة فمعناه هجرة جماعية للمسيحيين من سورية، وهذا حسب ما جاء في برقية موجهة إلى السفير الفرنسي في اسطنبول[4].

واعترف للأمير بهذا الفضل كثير من زعماء النصارى في الشرق والغرب ووصلته رسائل الشكر وأوسمة التقدير من قادة وملوك الدول والممالك المسيحية كفرنسا وايطاليا وروسيا وبريطانيا وإسبانيا وبروسيا وغيرها. وفي هذا الشأن يقول المؤرخ والروائي اللبناني المعروف جورجي زيدان[5] ما يلي:

1- إتيين، مرجع سابق، ص 485.

2- تشرشل، مصدر سابق، ص 286.

3- إتيين، مرجع سابق، ص 447.

4- نفسه، ص 452.

5- زيدان، جورجي حبيب:(1861-1914) رائد الصحافة الأدبية والرواية التاريخية. ولد في بيروت وتعلم بها. تنقل بين لبنان وانجلترا ومصر حيث استقر نهائيا أسس مطبعة الهلال وأصدر مجلة الهلال، ألف ثلاثة وعشرين رواية بالإضافة إلى العديد من الكتب في التاريخ والأدب واللغة. انظر:

- نصار وآخرون، م 4، مرجع سابق، ص 1758، 1759.

«أما النصارى فهم كافة مدينون لفضل هذا الرجل العظيم لأنه جاء عملاً برهن على عظم نفسه ومروءته وشهامته، وقد نال جزاءه من الدول الأوروبية فبعثت إليه بوسامات الشرف ورسائل الثناء ..»[1].

ورثاه الأديب الشاعر أديب إسحاق[2] بقصيدة تحت عنوان «داهية دهماء» وهذا بعض ما جاء فيها[3]:

ما خلت أن عماد الدهر ينهدم	حتى قضى السيد العالي الذرى العلمُ
القاصد المجد ما زلت به قدم	الصاعد العزم ما انحطت له همم
الباذل الخير ما خاضت مكارمه	الحافظ العهد ما ضاعت له ذمم
الموقد النار يوم الروع يضرمها	حينا ويطفئها والنار تضطرم
فالخيل والليل والبيداء تندبه	والسيف والرمح والقرطاس والقلم[4]
والحزم والعزم والمجد الذي بسقت	فروعه والعلى والفضل والكرم

ولا نجد أبلغ ما وصف به الأمير مما قاله فيه أحد شهود العيان على فتن الستين: «فقد وجد في وسط أولئك الوحوش الظالمين رجل عظيم المقام رفيع القدر عالي الهمة كثير التمسك بفضائل الاسلام شريف في الحسب والنسب ساد بالسيف وساد بالأدب..هو السيد السند والفرد الأمجد والبطل الأوحد الأمير الخطير والمليك الشهير عبد القادر الحسني الجزائري»[5].

1- زيدان، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص 253.

2- أديب إسحاق:(1856-1885) مسيحي من الطائفة الأرمينية، ولد بدمشق حيث تعلم اللغتين العربية والفرنسية ثم قدم إلى بيروت فتولى تحرير جريدة (التقدم) سافر إلى فرنسا ومصر واشتغل بالصحافة والترجمة، انتظم في سلك الماسونية وكانت له مواقف جريئة من الحكومة والدين. توفي ببيروت. انظر:

- لويس شيخو، مرجع سابق، ص 259.

3- عادل الصلح، سطور من الرسالة تاريخ حركة استقلالية قامت في المشرق العربي سنة 1877، دار العلم للملايين، بيروت، 1966، ص 83.

4- إشارة إلى بيت المتنبي:

الخيل والليل والبيداء تعرفني *** والسيف والرمح والقرطاس و القلم

5- مجهول، حسر اللثام عن نكبات الشام، ط1، مصر، 1895، ص 230، 231.

مكانة الأمير لدى مسلمي الشام:

إذا كانت تلك مكانة الأمير لدى النصارى وهم يختلفون عنه في الدين، فإن مكانته عند عموم المسلمين وخاصتهم كانت أعظم، فقد أحبوه وبجلوه حتى قبل قدومه إليهم، وعندما حل بينهم رحبوا به أيما ترحاب واحتفوا به وتسابقوا على استضافته. ويورد تشرشل كيف استقبل الأمير عند قدومه إلى الشام وخاصة من طرف الدروز الذين استقبلوه بطلقات البارود وأصروا على استضافته ورافقوه حتى غادر حدود منطقتهم[1]. ولا يختلف الأمر بالنسبة للشيعة فقد كانوا يلجأون إليه في الحصول على تراخيص المرور في الأيام التي أعقبت حوادث الستين وكانت له مع زعمائهم مراسلات[2].

وعندما عرفه أهل الشام عن قرب أصبح «مركز اهتمام العلماء والمثقفين أكثر من غيرهم، فهو بألقابه الثلاث- كونه شريفا من نسل النبيﷺ وعالما وزعيما للجهاد- كان جديرا بتبجيلهم العميق. وكانوا يشعرون أنهم مرتبطون به ليس فقط بمشاعر العاطفة القومية ولكن أيضا بالواجب الديني؛ وأن تجربتهم السريعة معه في علمه الغزير قد جعلهم يتشوقون إلى الاستفادة من معارفه»[3].

واعتبره بعض عوام الشام وليا من أولياء الله بكل ما يعنيه هذا في اعتقاد العوام، فقد روى عادل الصلح عن والده أنه وخلال قيام الأمير وبعض وجهاء الشام بجولات في مدن الشام، روى كيف«أن أهالي المدن التي حل بها الأمير والقرى التي مرَّ بها أُخِذوا بما شاهدوه من ورعه وتقواه، وبما سمعوا من مناقبه ومكارمه، حتى أن بعضهم طفق ينسب اليه الخوارق، ويروي عنه الحكايات على أنها كرامات الأولياء والأتقياء، منها أنه خلال رحلته، كان إذا ما دخل بيتا هطلت الأمطار، وإذا انتهت الزيارة وأراد الخروج إلى غيرها لفتوا نظره إلى هطول الامطار، فلا يأبه

1- تشرشل، مصدر سابق، ص 277.

2- محمد تقي الفقيه، جبل عامل في التاريخ، ط2، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1986، ص312.

3- محمد بلقراد، الجانب الصوفي والثقافي في حياة الأمير عبد القادر، مجلة التاريخ، مرجع سابق، ص 73.

لتحذيرهم ويتابع سيره. وما إن يصل إلى باب الدار حتى ينقطع المطـــر ويصـــحو الجو، إلى غير ذلك من الأمور التي كان يتناقلها الناس في يقين وإيمان»[1].

لقد استطاع الأمير بقوة شخصيته ودماثة أخلاقه وبسمعته الطيبـــة أن يجمـــع حوله كبراء الشام، وخاصة العلماء، فجعلهم في بلاطه وأجرى لهم مرتبات شهرية. وكما كان يفعل مع فقراء بورسة خصص يـــوم الجمعـــة لإطعـــام فقـــراء دمشـــق ومساكينها. وهكذا صار الأمير شخصية مقصودة لقضاء حـــوائج النـــاس عـــامتهم وخاصتهم[2].

وهكذا كان لقدومه في المدينة تأثير واضح على سكانها، وفي هذا الشأن تقول المؤرخة الأمريكية ليندا شيشلر:«وقد تأثر الدمشـــقيون بعلمـــه وتقـــواه واســـتقامته وكرمه. فقد كان عالما متبحرا بالمذاهب الإسلامية، وشيخا للطريقة القادرية..»[3].

ولا ينسى له مسلمو الشام دوره في تخفيف العقوبات التي صدرت في حـــق من اتهموا بالمشاركة في حوادث الستين. ففي سنة 1865 زار الأميـــر اســـطنبول وقابل السلطان عبد العزيز وعرض عليه شفاعته في أعيان دمشق الذين حُكم عليهم بالنفي إثر فتنة دمشق. فلبى السلطان شفاعته، وأصدر «إرادة سنية» بإطلاق هؤلاء الأعيان وإعادتهم إلى بلادهم[4].

وقد استمر تأثير آل الجزائري حتى بعد وفاة الأمير إذ أعلـــن جـــل أبنائـــه ولاءهم للسلطان العثماني، «وبذلك عكست [كذا] الاتجاه العثماني الذي غلـــب فـــي دمشق في أواخر القرن..»[5].

1- الصلح، مرجع سابق، ص 104.

2- الخالدي، الإشعاع المغربي في المشرق، مرجع سابق، ص 84.

3- ليندا شيلشر، دمشق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، تر عمرو ودينا الملاح، دمشق، 1998، ص253.

4- الصلح، مرجع سابق، ص 82.

5- شيلشر، مرجع سابق، ص 253.

3- الحركة الاستقلالية الشامية وترشيح الأمير لقيادتها:

لقد انتهى المشروع الفرنسي برفض الأمير عبد القادر له كما مر معنا، وبسقوط صاحبه –نابليون الثالث– من الحكم ثم موته بمنفاه بلندن سنة 1873، إلا أن فكرة المشروع لم تنته، وتجددت ولكن هذه المرة نبعت من داخل بلاد الشام نفسها مستغلة الظروف والمستجدات التي طرأت على المنطقة والساحة الدولية.

ظروف قيامها (الحرب الروسية العثمانية ومؤتمر برلين):

لم يتوقف سعي روسيا للسيطرة على البلقان، وتعددت محاولاتها للاستئثار بهذه المنطقة الحيوية. فقد تذرعت بمساعدة الثورة اليونانية لتفرض صلح أدرنة (1829)، واستفادت من ضعف السلطان محمود الثاني أمام إبراهيم باشا لتعرض عليه الحماية الروسية، وأشعلت حرب القرم (1854) ففقدت كل امتيازاتها في مؤتمر باريس. وظلت بعد ذلك تتحين الفرص لاستعادة نفوذها. فلما اندحرت فرنسا في الحرب السبعينية سارعت إلى نقض شروط مؤتمر باريس، وأخذت تتهيأ لجولة جديدة في البلقان بأن دعت إلى يقظة سلافية في البوسنة والهرسك والصرب والجبل الأسود[1].

لقد كان التحريض على الحرب قويا من قبل القوميين السلاف في روسيا وفي الدولة العثمانية نفسها بالرغم من أن بريطانيا نصحت السلطان بعدم الإنجرار للحرب ضد روسيا إلا أن السلطان لم يأخذ بنصيحتها. فقد عُقد مؤتمر باسطنبول (1876/01/18) حضرته كل من انجلترا وفرنسا وألمانيا وايطاليا والنمسا والمجر وروسيا إلى جانب تركيا وقدم المؤتمرون اقتراحا بإجراء إصلاحات في بلغاريا و البوسنة والهرسك لتفادي الصدام مع روسيا. لكن ضغط الأصوات المنادية بالحرب داخل الحكومة العثمانية وعلى رأسها الصدر الأعظم مدحت باشا[2]، جعل السلطان

1- لبيب عبد الساتر، التاريخ المعاصر، ط2، دار المشرق، بيروت، 1982، ص 330.

2- ولد أحمد شفيق وهو الاسم الحقيقي لمدحت باشا في اسطنبول عام(1238هـ–1822م) والده هو القاضي الحاج حافظ محمد أشرف. حفظ القرآن الكريم وهو في العاشرة وتعلم اللغتين العربية والفارسية إضافة إلى لغته

يرفض مقترحات مؤتمر اسطنبول ثم مقترحات بروتوكول لندن(1877/03/31) المعدلة لمقترحات مؤتمر اسطنبول[1].

وهكذا اندلعت الحرب في 1877/04/24 ووجدت تركيا نفسها وحدها في مواجهة روسيا. وتقدم الروس حتى مشارف العاصمة العثمانية، واضطر السلطان إلى القبول بشروطهم القاسية في صلح سان ستيفانو[2] الذي نصَّ على:

- إستلاء روسيا على مناطق متاخمة لحدودها تقع في شرق البحر الأسود منها قارص[3] وباطوم[4].
- احتفاظ البوسنة والهرسك على استقلالهما الذاتي.
- حصول رومانيا وصربيا والجبل الأسود على الاستقلال التام.

الأصلية التركية. كما برع في الخط والكتابة الأمر الذي ساعده في العمل ككاتب في مجلس الصدر الأعظم وهو لم يبلغ العشرين من العمر.عين واليا على بغداد سنة 1869 كما عين صدرا أعظم عام 1872 ثم 1876 ثم واليا على سورية سنة 1878. وضع في عهده أول دستور عثماني. أُتهم بقتل السلطان عبد العزيز، فحكم عليه بالإعدام ثم خفف إلى النفي المؤبد فنفي إلى الطائف حيث مات مخنوقا.

انظر: يوسف كمال بك حتاته (تع)، مذكرات مدحت باشا، ، مطبعة هندية، الموسكي، مصر،(د ت)، ص 4-9.
والبعلبكي، مرجع سابق، ص 421.

1- يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية ج2، تر عدنان محمود سليمان، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل اسطنبول، 1990، ص 103، 105.

2- قرية صغيرة على مقربة من اسطنبول تسمى حاليا يزيلكوى وقعت فيها المعاهدة التي أنهت الحرب الروسية التركية. انظر:
- نصار وآخرون، م 4، مرجع سابق، ص 1784.

3- قارص: مدينة (حوالي 78365 نسمة، 2008) تقع بشرق تركيا، من صناعاتها المنسوجات والأغذية والسجاد، انتزعها الروس من الأتراك في 1828 و1855 و1877. وفي مؤتمر برلين تنازلت تركيا رسميا لروسيا عن منطقة قارص، وفيها مدينة قارص وأرضهان ، ولكنها أعيدت لتركيا في 1921 بمقتضى معاهدة الصلح الفردية بين الإتحاد السوفيتي وحكومة كمال أتاتورك. انظر:
- نفسه، م5، ص 2523.

4- باطوم أو باطومي: مدينة (121806 نسمة، 2002)، عاصمة جمهورية آجار المستقلة ذاتيا، في جمهورية جورجيا على البحر الأسود. ميناء هام ومركز تجاري. تربطها أنابيب بترول بباكو. مركز رئيسي لتكرير البترول وتصديره. تنازلت عنها تركيا لروسيا سنة 1878. انظر:
نفسه، م2، ص 608.

- انشاء دولة بلغاريا الكبرى ووضعها تحت الحماية الروسية.[1]

وبذلك أصبحت روسيا صاحبة النفوذ الأكبر في البلقان مما أثار مخاوف أوروبا. فبدا الضغط على القيصر من الدول الكبرى حتى وافق على إعادة النظر في معاهدة سان ستيفانو. فانعقد مؤتمر برلين (1878) لتعديل شروط معاهدة سان ستيفانو[2]. فعدّلت بحيث قلصت من النفوذ الروسي، لكن الدولة العثمانية خسرت في مؤتمر برلين ما لم تفقده في أي حرب سبقت[3].

إن المطالب القومية كانت سببا وهدفا لحرب 1877 بين روسيا وتركيا أو «حرب 93»[4] كما يسميها الأتراك فالمحرض الأكبر لها في روسيا هي الجامعة السلافية التي ضغطت على القيصر لإعلان الحرب على تركيا بعد رفضها لقرارات مؤتمر اسطنبول وبروتوكول لندن كما مر معنا. وكانت الجامعة السلافية تهدف إلى استقلال الشعوب السلافية في البلقان عن الحكم العثماني وإنشاء دول قومية تحت الحماية الروسية وأصدق مثال على ذلك صربيا وبلغاريا، وهذه الأخيرة أصبحت بعد معاهدة سان ستيفانو بمثابة مخلب للدب الروسي[5].

وهكذا حصلت معظم شعوب البلقان على مطالبهم وأمانيهم القومية فكان هذا الأمر محفزا ودافعا للقوميين العرب من أجل التحرك لتحقيق أمانيهم في الحرية والاستقلال .

كما أن انشغال تركيا بالحرب وحالة الضعف التي بلغتها في أعقاب الهزيمة أمام الروس يعتبر فرصة سانحة للساعين إلى الانفصال عن السلطنة العثمانية. وحتى أنصار العثمنة والوحدة الإسلامية أحسوا في تلك الظروف أن أيام السلطنة أصبحت معدودة وأن القوى الأوربية تتربص بها الدوائر. وساد مسلمي السلطنة قلق

1- عبد العزيز سليمان نوار، الشعوب الإسلامية، مرجع سابق، ص 202.

2- عبد الساتر، مرجع سابق، ص 334.

3- نوار، المرجع السابق، ص 203.

4- نسبة إلى السنة الرومية 1293. انظر:

- أوزتونا، مرجع سابق، ص 102.

5- نوار، مرجع سابق، ص 202.

عميق حول مصير دولتهم[1]: هل ستسقط اسطنبول حاضرة الخلافة العثمانية بيد روسيا وتضيع كما ضاعت قرطبة وغرناطة، وهل ستستغل الدول الكبرى انهيار السلطنة عسكريا وماليا لتحل المسألة الشرقية نهائيا وتنتهي إلى السيطرة على ممتلكاتها[2]، ففكروا- والوضع هكذا- في (القفز إلى البحر وركوب زورق النجاة قبل غرق السفينة بمن عليها).

حركة وجهاء الشام:

في الوقت الذي كان الوعي القومي العربي يتبلور تدريجيا وكانت الأزمات تعصف بالدولة العثمانية والانحدار يتسارع، تنادت مجموعة من القوميين العرب في لبنان إلى ضرورة التفكير الجدي في مستقبل العرب. عُرفت هذه المجموعة بوجهاء الشام وعُرف مسعاهم بحركة الوجهاء أو الأعيان.

المشاركون في حركة الوجهاء:

كان على رأس هذه المجموعة أحمد الصلح[3] وكان زعيم حركة الوجهاء المسلمين. أخذ يتحرك سرا في مدن ومناطق لبنان ويكاشف أصدقاءه عن مشروعه، ثم وسع نطاق اتصالاته لتشمل سورية كلها.

وإلى جانبه نجد ابنه محمود منح الصلح (1856-1920)، كان قد تولى القضاء في بيروت وكان مقربا من الأمير عبد القادر وكاد أن يتزوج إحدى بناته

1- الدوري، مرجع سابق، ص 152.

2- سنّو، مرجع سابق، ص 14.

3- أحمد باشا الصلح: جد مؤلف كتاب «سطور من الرسالة» ينتمي إلى عائلة الصلح وهي عائلة لبنانية مغربية الأصل اشتهرت بالنضال القومي وبدأ احمد باشا الصلح حياته كترجمان لوالي صيدا محمد باشا، ثم أصبح في ما بعد متصرفا في الدولة العثمانية، كان له نفوذ واسع لدى الولاة العثمانيين ولدى السلطنة. وتولى عدة متصرفيات، فكان- هو وابنه منح الصلح- من منظمي حركة الاستقلال عن الدولة العثمانية في المشرق العربي العام 1877. انظر:

- نفسه، ص 46.

لولا وفاتها المفاجئة[1]. وُصف بأنه «العقل المدبر لكثير من شؤون التحرك السياسي الممهد والمحرك للفكرة العربية والنزعات الاستقلالية»[2].

ومن الشخصيات السنية البارزة التي لعبت دورا مؤثرا في الحركة الشيخ أحمد عباس الأزهري (1853–1927)، كان عالما تلقى علومه بجامع الأزهر والتقى بكل من الشيخ محمد عبده والسيد جمال الدين الأفغاني، اشتغل الأزهري بالتدريس وأسس «الكلية العثمانية» التي اشتهرت بانفتاحها على الطلاب غير المسلمين وعلى اللغات الأجنبية واعترفت بشهاداتها المعاهد العليا الفرنسية، وتخرج من مدرسته فيما بعد عدد من رواد الإصلاح المناهضين لسياسة التتريك[3].

كما ارتبطت أسماء أخرى بحركة الوجهاء كأصدقاء لزعماء الحركة منهم الحاج حسين بيهم[4]، والحاج ابراهيم آغا الجوهري الذي شغل منصب رئيس بلدية صيدا لسنوات عدة[5]، وعائلة السيد حسن تقي الدين الحصني مفتي دمشق ونقيب أشرافها التي استضافت بدارها الوجهاء الذين قدموا من بيروت[6].

هذا عن الجانب السني أما من الجانب الشيعي فنجد السيد محمد الأمين بن علي الحسيني(1812–1880م). عالم شيعي من الأشراف .عين مفتياً لجبل عامل. اشتهر بعدم سكوته على الظلم وبمنازعته لبعض الولاة العثمانيين وأمراء البلاد. نُفي

1– إنها الأميرة سكينة صغرى بنات الأمير. أنظر تفاصيل خطبتها ووفاتها في:

– الصلح، مرجع سابق، ص 20، 21.

2– سنّو، مرجع سابق، ص 46.

3– نفسه، ص 47

4– الحاج حسين بَيْهم:(1833–1881) أديب لبناني. ولد في بيروت، كان والده من أعيان المدينة وأدبائها. تعلم على يد الشيخ محمد الحوت والشيخ عبد الله خالد. تعاطى التجارة لمدة يسيرة ثم انقطع إلى العلم. كان شاعر يجيد ارتجال الشعر في المحافل. تولى عدة مناصب حكومية منها ناظر الخارجية. و كان حاضر الجواب ثاقب الرأي كريم الأخلاق عالي الهمة محبوبا عند الجميع. انظر:

– شيخو، مرجع سابق، ص 147،148.

5– سنّو، مرجع سابق، ص 47

6– الصلح، مرجع سابق، ص 93.

إلى طرابلس لمدة ثلاث سنوات بسبب مشاركته في نشاط حركة الأعيان[1]. قال عنه عادل الصلح بأنه «..معدود في الشيعة كالشيخ محمد عبده في السنة من حيث الدعوة الإصلاحية، وهو فضلا عن مكانته الدينية كان من كبار المناضلين ضد الاستعمارين الانجليزي والفرنسي في البلاد العربية، وله في ذلك مواقف مشهورة»[2].

ومن علماء الشيعة الذين شاركوا في حركة الأعيان، الشيخ على بن أحمد الحُر الجباعي الذي توفي سنة 1903 كان من أسرة عملت في مجال القضاء في جبل عامل. ذاع صيته عام 1860 لحمايته مسيحيين في منزله بجباع[3].

وإلى جانب هذين الشيخين شارك في نشاط الحركة الاستقلالية بعض الوجهاء من الطائفة الشيعية ورد ذكرهم في المراجع التي أرخت لهذه الحركة منهم: الحاج علي عسيران(توفي حوالي 1904). كان أبوه حسين عسيران قنصلا لإيران في صيدا وكبيرا للتجار الإيرانيين ومن أثرياء المدينة. ورث علي عن أبيه المال والسلطة حيث تمكن من استرداد أموال أبيه التي صادرتها السلطات العثمانية كما عُين من طرف شاه إيران في وظيفتي والده السابقتين. كما تذكر المراجع شخصية أخرى شاركت في نشاط حركة الوجهاء وهو شبيب باشا الأسعد الوائلي(1852-1917). من عائلة شيعية إقطاعية. وكان أديبا و شاعرا[4].

نشاط حركة الوجهاء:

بدأ نشاط الحركة من بيروت، حيث كان يقيم أحمد الصلح المحرك الرئيسي للحركة، الذي راح يكاشف أصدقاءه وخلصاءه بالفكرة والغاية المنشودة، ثم وسع

1- سنّو، مرجع سابق، ص 47.

2- الصلح، مرجع سابق، (هــ) ص 124.

3- سنّو، مرجع سابق، ص 47.

4- نفسه.

دائرة اتصالاته فسافر إلى صيدا وجبل عامل وعرض الفكرة أيضا على بعض زعماء المنطقة، وجرت اجتماعات سرية في صيدا لمدة شهرين ثم قصدوا دمشق واتصلوا فيها ببعض أعيانها فلاقت الفكرة كل التأييد، ثم اتجهوا إلى «دمر» حيث كان يقيم الأمير عبد القادر فتدارسوا معه أوضاع البلاد[1].

لقد كانت هذه الاتصالات الأولية بمثابة جس للنبض وسبر للآراء حول الفكرة، وكانت وسائلها المشافهة والاتصالات الفردية واللقاءات والاجتماعات السرية. إذ «كان الصلح يدرك خطورة ما قرر الاقدام عليه»[2].

وبعد عودة الصلح والزعماء الذين رافقوه في زيارته لدمشق، سافر إلى مدن الشمال السوري كحمص وحلب وحماه واللاذقية، واتصل برؤساء العشائر العلوية. كما زار جبل الدروز واتصل بزعمائه. وكان الصلح يعرض الفكرة على أعيان المناطق التي زارها وعلى زعماء عشائرها ويدعوهم إلى بيروت لمزيد من التداول والتشاور.

لقد تزامن مع نشاط وتحركات الوجهاء ظهور مناشير في مدن سورية عديدة تعبر عن تذمر أهالي سورية من الحكم العثماني وتدعوهم للثورة عليه[3]. ولا يمكن الجزم بأن هذه المناشير كانت من وسائل حركة الوجهاء بالرغم من أن الصلح يتحدث عنها في سياق حديثه عن نشاط الحركة، لأن أغلب المؤرخين الذين أرخوا للحركة القومية العربية –ومنهم جورج انطونيوس[4]– ينسبونها إلى «جمعية بيروت

1– الصلح، مرجع سابق، ص 92،93.

2– نفسه، ص 93.

3– الدوري، مرجع سابق، ص 145.

4– انطونيوس، جورج، باحث عربي في تاريخ نهضة العرب الحديثة، لبناني الأصل، ولد بالإسكندرية سنة 1893، درس بانجلترا عين بإدارة المعارف بفلسطين بعد الحرب العالمية الأولى. له كتاب بالانجليزية بعنوان «يقظة العرب». توفي بالقدس سنة 1942. [لم يتحدث انطونيوس عن حركة الوجهاء لأنه توفي قبل صدور كتاب عادل الصلح.] انظر:

– نصار وآخرون، م1، مرجع سابق، ص 483.

السرية» التي تأسست سنة 1875[1]، أي قبل ظهور حركة الوجهاء بسنتين. وعلى الرغم من أن المصادر التاريخية لا تشير إلى وجود تنسيق بين مختلف الجمعيات والحركات السياسية، إلا أن هناك تقاطعًا في نشاطها نظرا لوحدة الأهداف والغايات.

ومع مرور الوقت كثر المنضمون إلى المجموعة وأخذ أعضاؤها يعقدون الاجتماعات السرية خاصة في بيروت، كما عُقد مؤتمر سريٌ في دمشق، وفيه تقرر العمل على استقلال البلاد الشامية[2]. وكانت تركيبة المؤتمرين تتكون من السنة والشيعة والدروز والعلويين[3] الذين قرروا ترشيح الأمير لزعامة الدولة المنشودة[4]؛ وقد كُلِف أحمد الصلح بتبليغ القرار للأمير، فما كان موقفه؟

لقد جرى النقاش حول ثلاث نقاط وهي: الخلافة والبيعة وشكل الدولة المنشودة. فأما مسألة الخلافة فان الأمير تركها للسلطان العثماني، وأما البيعة[5] فاشترط أن تكون من أهل البلاد جميعا؛ وأما شكل الدولة المنشودة فقد جرى الاتفاق على التريث بشأنها[6] حتى تتضح الأمور حول مصير الدولة العثمانية[7].

لقد رغب الأمير ببقاء الارتباط الروحي بين بلاد الشام والخلافة العثمانية، كما كان يرى أن يبقى السلطان العثماني سلطاناً على الشام أيضاً وأن يُجمع أهل

1- انطونيوس، مرجع سابق، ص 149.

2- يقصد بالشام كل من سورية ولبنان وفلسطين والأردن.

3- كان عددهم حوالي ثلاثين شخصا من صيدا وبيروت ودمشق وحلب وحمص وحماه واللاذقية ومن حوران وجبل الدروز. أنظر:

- الدوري، مرجع سابق، ص153.

4- الصلح، مرجع سابق، ص 98.

5- يذكر سهيل الخالدي أن البيعة تمت فعلا ومرتين الأولى في صور والثانية في قصر الأمير بضاحية دمر بدمشق. أنظر:

- الخالدي، توضيحات لألان كريستلو، مقال سابق.

6- انعقد المؤتمر أثناء الحرب الروسية العثمانية، وكان وضع الدولة العثمانية ومصيرها غير واضح فالتريث له ما يبرره.

7- الصلح، مرجع سابق، ص 100.

الشام على مبايعته[1](أي الأمير). وهكذا تصرف الأمير بحكمة تفاديا للصدام مع دولة الخلافة ولم يرد أن يثبط عزائم القوميين العرب.

قام الأمير وأحمد الصلح وبعض الأعيان بجولة دعائية زاروا خلالها العديد من مدن الشام كصيدا وجبل عامل وعكا ويافا والقدس ونابلس وبعلبك وغيرها. ولكي يصرف الأمير أنظار السلطات العثمانية عن الغرض الحقيقي من هذه الجولات ادعى أنه كان يقوم بتفقد مواطنيه الجزائريين. ولكنه كان في الواقع يستطلع مواقف السوريين من مسألة ترشيحه لعرش سورية[2].

ولم يكن لحركة مثل هذه أن تبقى في طي الكتمان فقد وصلت أخبارها إلى قناصل بعض الدول الأوروبية الذين راسلوا حكوماتهم بشأنها دون ذكرها بالاسم. كما أن أخبار الحركة وصلت إلى مسامع السلطان في الآستانة «فقامت السلطات في سورية باتخاذ تدابير احترازية كثيرة. ففرضت الإقامة الجبرية على زعماء الحركة... ونفت إلى خارج البلاد بعضا منهم... ومنعت الاختلاط بين الأمير وأحمد الصلح..»[3]. وقام السلطان عبد الحميد الثاني بتعيين مدحت باشا واليا على سورية فقام بإصلاحات عديدة خاصة في ميدان التعليم الذي وجده متخلفا كثيرا[4]. وتقرب من زعماء الحركة الاستقلالية ولاينهم، وأدخل كثيرا من العرب في الوظائف(منها قائمقاميات ومتصرفيات) وأعطى الأقليات تمثيلاً أوسع في الإدارة. فعرفت الولاية مرحلة من الهدوء والاستقرار[5].

لقد أحس السلطان عبد الحميد الثاني بتململ القوميات المكونة للدولة العثمانية ورغبتها في الاستقلال (خاصة في الشام والحجاز وكردستان وألبانيا) فتبنى فكرة

1- نفسه.

2- سنّو، مرجع سابق، ص 50.

3- الصلح، مرجع سابق، ص 126.

4- حتاته، مصدر سابق، ص 36-39.

5- الدوري، مرجع سابق، ص 155.

الجامعة الإسلامية بعد الحرب الروسية العثمانية، وقد قامت هذه السياسة على تسخير كل شرائح المجتمع العثماني من علماء ومتصوفين وأعيان وجماهير في سبيل تثبيت نظام حكمه في الداخل وتجاه الخارج الممثل في القوى الأوروبية[1].

وجاء مؤتمر برلين ليحقق لبعض القوميات البلقانية ما كانت تطمح إليه دون أن ينهي المسألة الشرقية وأعطى للدولة العثمانية مهلة أخرى (امتدت حتى الحرب العالمية الأولى) لتصارع من أجل البقاء وضد التفكيك.

وهكذا فإن قرارات مؤتمر برلين- القاضية بالإبقاء على الدولة العثمانية- كانت إحدى عوامل تلاشي حركة الأعيان إذ أن مبرر وجودها (التخوف من انهيار الدولة العثمانية) يكون قد زال بعد هذا المؤتمر. وهو الأمر الذي ينفي عن هذه الحركة النزعة الانفصالية «ولم تكن حركة الأعيان يثيرها الحقد على الخلافة، ولا دعوة تسوقها يد غريبة ذات أغراض وأطماع، بل كانت محاولة أهلية أصيلة صافية في عروبتها انبعثت من إرادة الشعب»[2].

4- بين الأمير عبد القادر والزعيم اللبناني يوسف كرم[3].

وفي تلك الأثناء و بالتوازي مع تحركات وجهاء الشام، وصلت الأمير رسالة مطولة من الزعيم اللبناني يوسف كرم -الذي كان يعيش منفيا في إيطاليا وقتئذٍ- كانت هذه الرسالة بداية لسلسلة من الرسائل تبادلها الزعيمان، أبدى خلالها يوسف كرم حماسه وتأييده الشديدين لفكرة الدولة العربية ورشح الأمير لرئاستها كما اقترح عليه الاتصال بالدول الأوروبية لتأييد الفكرة.

1- سنّو، مرجع سابق، ص 45.

2- الصلح، مرجع سابق، ص 145.

3- كرم، يوسف بك(1823-1889): زعيم لبناني ماروني.من أهل إهدن في شمال لبنان. نفاه فؤاد باشا إلى الآستانة، ففر عائدا إلى بلده، فطلبه داود باشا فقاومه يوسف وأنصاره بشجاعة. استقر آخر أمره في نابولي بإيطاليا. انظر:

- البعلبكي، مرجع سابق، ص 362.

لقد استهل الزعيم اللبناني رسالته بتشخيص للوضع الدولي ودسائس السياسة الدولية الأوروبية وإلى الوضع الذي آلت إليه الدولة العثمانية نتيجة الفساد الذي انتشر فيها وكيف أن هذا كله انعكس سلبا على الأقطار العربية التي أصبحت شعوبها تعيش حالة من الظلم والاستعباد. ثم اقترح على الأمير مراسلة حكومات وشعوب أوروبا وسائر القبائل العربية في شأن استقلال البلاد العربية في إطار الرابطة العثمانية، هذا إذا وافقت الدولة العثمانية على ذلك، «وإلا فالأفضل..أن تنزعوا من الحكومة العثمانية الأقطار العربية التي تتوق بالطبع لإحياء سطوة وحقوق الجنس والوطن»[1].

ولم يغفل الزعيم البناني أن يوضح نوع وشكل الدولة المرتقبة، فهو يراها دولة اتحادية على غرار النمط الألماني بإقامة إمارات مستقلة في بلاد الشام تخضع لحكم اسلامي برئاسة الأمير، مع ضمان لمصالح المسيحيين في جبل لبنان وصيانة حرياتهم الدينية[2].

وتوالت الرسائل بين الطرفين لكنها في الغالب كانت عن طريق وسيط[3] وكان الطرفان يلجآن إلى التشفير خوفا من انكشاف أمرهما وكان موضوعها واحدًا وهو تحرير البلاد العربية وتولية الأمير عليها.

ويبدو من خلال محتوى هذه الرسائل أن يوسف كرم كان مؤمنا كل الإيمان بجدوى هذه الحركة وكان يستعجل تنفيذ المشروع متحيناً فرصة ضعف الدولة العثمانية وانقضاض الدول الأوربية وخاصة روسيا ودول البلقان عليها، إذ أن آمال القوميين العرب –وخاصة أصحاب النزعة الاستقلالية– كانت معلقة بالروس وحلفائهم في المنطقة على اعتبار أن الانتصارات الروسية هي أقصر طريق إلى

1- الصلح، مرجع سابق، ص 111.

2- سنّو، مرجع سابق، ص 50.

3- يرجح صاحب كتاب (سطور من الرسالة) أن يكون الوسيط هو المطران يوسف الدبس.انظر:

- الصلح، مرجع سابق، ص 118.

استقلال العرب[1]. وكان الزعيم اللبناني يخشى ردة فعل الدولة العثمانية في حال إقدامه هو ومن يؤيد مشروعه على الخطوة الحاسمة وهي إعلان الاستقلال.

كما أن الزعيم اللبناني –ومن خلال هذه الرسائل– وبالقدر الذي كان متحمسا للتخلص من الحكم التركي، لم يكن يرغب في أن تقع البلاد العربية تحت حماية دولة أخرى، بل كان يراهن على تناقضات السياسة الدولية وتعارض مصالح الدول الكبرى لتحقيق مشروعه في الحرية والاستقلال.

وبالرغم من أن الزعيم اللبناني يوسف كرم ظل محتفظا بجنسيته العثمانية حتى آخر أيامه، إلا أن مشروعه هذا – والذي تبادل بشأنه الرسائل السرية مع الأمير– كان ذا طابع انفصالي.

لقد كان الأمير بمثابة نقطة التقاء وتقاطع بين مشروعين عربيين أحدهما مشروع إسلامي مثله وجهاء وأعيان الشام من السنة والشيعة ومشروع قومي كان محركه الماروني يوسف كرم هذا فضلا عن المشروع الفرنسي الذي دفن بعد استسلام نابليون الثالث للجيش البروسي.

ولعل الأمير زهد في هكذا مشاريع بعد أن فشل هو نفسه في مشروعه الوطني والشخصي والذي ناضل من أجله ما يربو على الخمس عشرة سنة وتحمل بعدها مرارة الأسر وألم فراق الوطن. ولطالما عبر الأمير لزائريه والقائمين على حراسته في سجون فرنسا عن«موته» (السياسي) حتى يبدد المخاوف لدى السلطات الفرنسية حول إمكانية عودته للقتال بعد أطلاق سراحه[2].

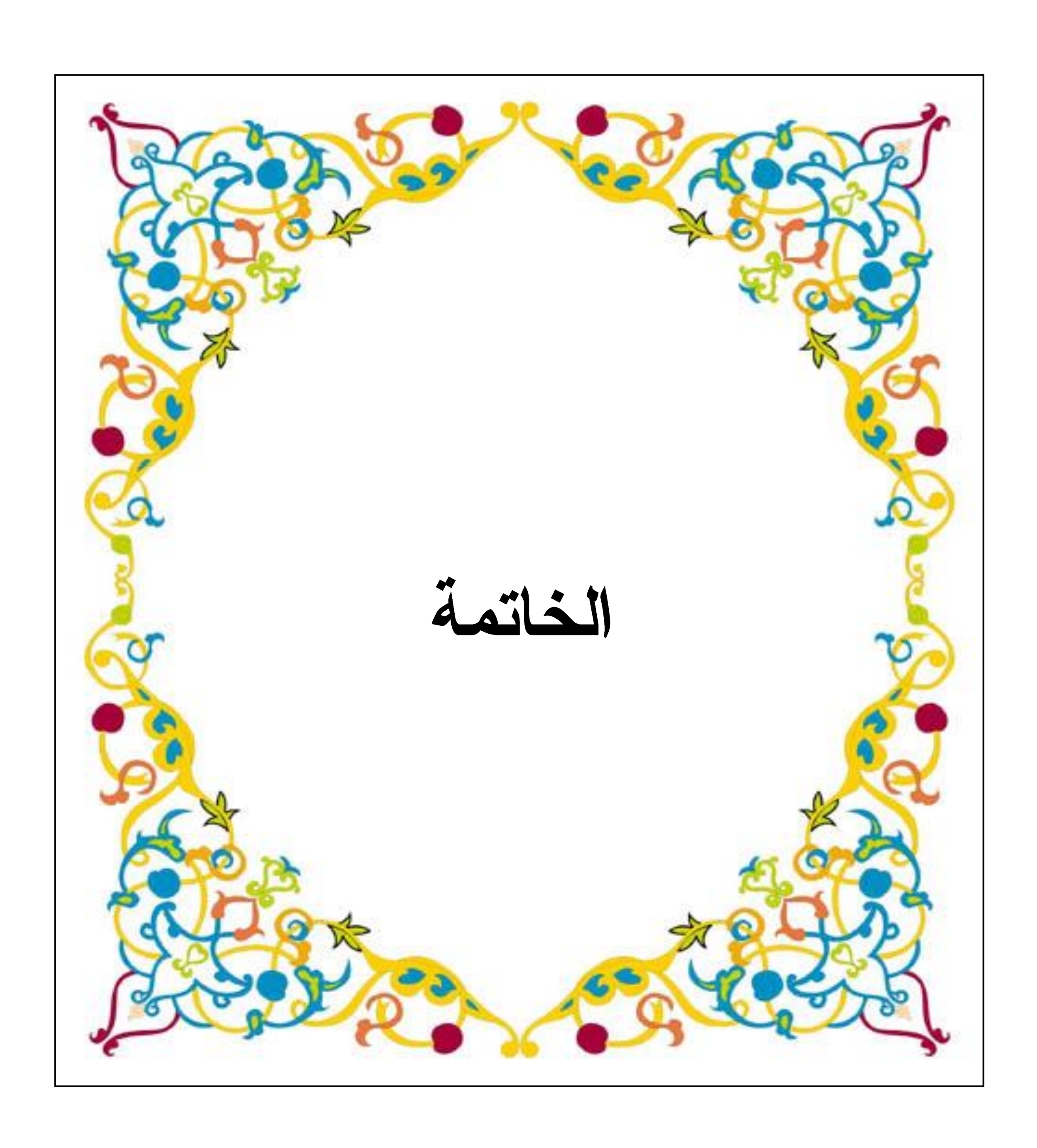
1– نفسه، ص 119، 122.

2– Bouyerdene, op cit, p.149.

وبعد أربع سنوات من انعقاد مؤتمر دمشق توفي الأمير عبد القادر فتأجل الحلم العربي لأن المخطط الأوروبي لتقسيم البلاد العربية كان ينفذ تدرجيا وهذه المرة كانت المبادرة لبريطانيا كما أشرنا إلى ذلك سابقا.

وهكذا كانت كل المؤشرات تشير إلى أنه كان بمقدور الأمير أن يضطلع بدور سياسي محوري. «ويبقى أمر عدم قيامه بذلك الدور واحداً من ألغاز سياسة دمشق في أواخر القرن.»[1].

1- شيلشر، مرجع سابق، ص 253.



الخاتمة

من خلال ما تناولناه في هذه الدراسة حاولنا إبراز الأثر السياسي الذي أحدثه انتقال الأمير عبد القادر إلى المشرق العربي، وكيف أنه استقطب المشاريع السياسية التي كانت تهدف إلى استقلال البلاد العربية أو فصلها عن الدولة العثمانية.

وسواء كانت هذه المشاريع تعبر عن حقوق وطموحات مشروعة للعرب أو كانت مؤامرات غربية، وأسلوبا مُقنعا للاستعمار؛ فإن القاسم المشترك بين المشاريع هو اعتبارها الأمير عبد القادر الشخصية المحورية لهذه المشاريع.

لقد كون الأمير عبد القادر علاقات واسعة مع معاصريه من ملوك وقادة ورجال سياسة وعلم وأدب، وتبادل معهم الرسائل والتهاني والهدايا؛ وطبعا فيهم الكثير من الفرنسيين، ولعل أشهر هؤلاء نابليون الثالث.

بيد أن علاقته مع الفرنسيين لم تكن بالصفة التي روَّج لها الفرنسيون أنفسهم، فهي لا تعدو أن تكون علاقات شخصية مع أفراد، وعلى رأسهم طبعا نابليون الثالث. فالأمير تأثر كثيرا بسلوك نابليون النبيل، فكان هذا الإحسان والكرم الإمبراطوري بمثابة طوق في عنق الأمير وقيد في يديه، فقد ظل الأمير وفيا للكلمة التي أعطاها للإمبراطور غداة إطلاق سراحه. ويصدق في وصف هذه العلاقة قول الشاعر أبي الفتح البُستي:

أَحْسِنْ إِلَى النَاسِ تَسْتَعْبِدْ قُلُوبَهَمُ *** فَطَالَمَا اسْتَعْبَدَ الإِنْسَانَ إِحْسَانُ

لقد أسس الأمير عبد القادر لثقافة التسامح والتعاون بين بني الإنسان على اختلاف أديانهم ومشاربهم، وكان الأمير لا يعتبر الآخر عدوا إلا إذا اعتدى، وعلى هذا الأساس عامل أسراه في الحرب وعليه أيضا تصرف تجاه نصارى الشام في فتنة الستين.

ساهم الأمير عبد القادر في تنبيه العرب والمسلمين إلى ما كان الاستعمار يحيكه من مؤامرات بزرع الفتن بينهم وسعيه لتمزيق وحدتهم وبسط نفوذه على

بلادهم، وتفطن إلى دسائسه؛ لذا نجده يتهرب وبلباقة من العرض الذي اقترحه عليه نابليون الثالث لإمارة الشام تحت المظلة الفرنسية.

لقد عُرفَ عن الأمير بساطته وزهده الشديدان ولم يسع للرياسة سواء في الجزائر أو في المهجر. لقد كان للتجربة التي خاضها مجاهدا في الجزائر وعاناها أسيرا في فرنسا، كان لكل هذا الأثر البالغ في بقية حياته فقد كان يرغب في أن يقضي بقية حياته في العبادة والدرس؛ وهذا ما حذا بالمؤرخ الفرنسي برونو إتيين ليعنون أحد مباحث كتابه حول الأمير بـــ«مملكتي ليست من هذا العالم».

وفي المقابل نجده لم يرد تثبيط عزائم القوميين العرب عندما سعوا لاستقلال بلاد الشام بعد أن أدركوا أن دولة الخلافة أشرفت على الانهيار.

إنّ موقف الأمير من الدولة العثمانية كان موقفا مسؤولا، فهو بالرغم من إدراكه لقوة الدول المتربصة بها من جهة، ومدى الضعف الذي وصلت إليه دولة الخلافة من جهة ثانية؛ فإنه لم يشأ أن يدق مسمارا في نعشها. فهو ظل وفيا لمبادئه في الولاء لخليفة المسلمين والحفاظ على وحدتهم؛ وهذا ما يفسر الشروط والتحفظات التي أبداها لزعماء حركة وجهاء الشام.

لقد أدركت القوى الغربية وعلى رأسها بريطانيا أن الأمير عبد القادر ليس الرجل الذي يعولون عليه لتنفيذ مخططاتهم في المنطقة فانصرفوا عنه.

ومهما يكن من أمر فإن هذه الدراسة تبقى مجرد محاولة لتسليط الضوء على جانب من حياة أحد أبرز معالم تاريخنا الحديث والمعاصر ورجل ملأ الدنيا وشغل الناس في حياته وبعد مماته. ويبقى هذا الموضوع بحاجة إلى دراسة أعمق وتحليل أكبر خاصة للوثائق والأرشيف المتعلقة بالأمير.

و في الأخير لا يسعني إلا أن أتمنى تمام الاستفادة من هذا العمل المتواضع.

تم بعون الله وتوفيقه.


الملاحق

ملحق:01

جدول زمني لأهم المحطات في حياة الأمير

السنوات	الأحداث
1808	مولد عبد القادر
1823	زواج الأمير
1827-1826	أول حج للأمير إلى مكة
1832	الأمير يشارك في معركة خنق النطاح الأولى(29 ماي)
1832	المبايعة الأولى للأمير (27 نوفمبر)
1833	المبايعة الثانية والعامة للأمير(04 فبراير)
1834	معاهدة دي ميشال (28 فبراير)
1835	انتصار الأمير في معركة المقطع
1836	دخول الأمير عبد القادر إلى تلمسان
1837	معاهدة تافنة (أفريل-ماي)
1839	نقض معاهدة تافنة (16 أكتوبر)
1843	سقوط الزمالة (13 ماي)
1844	لجوء الأمير إلى المغرب الأقصى
1845	معركة سيدي ابراهيم (23 سبتمبر)
1847	إنهاء الأمير للمقاومة (23 ديسمبر)
1848	عبد القادر سجين في طولون
1849	نقل الأمير إلى أمبواز
1852	اطلاق سراح الأمير (16 أكتوبر)
1853	نزول الأمير باسطنبول(8 يناير)
1855-1853	الأمير في بورسة
1855	زيارة الأمير لباريس(أوت)
1855	نزول الأمير بمرفأ بيروت(25 نوفمبر)
1855	الأمير يستقر في دمشق

1856	زيارة الأمير للقدس
1860	الأمير يتدخل لإنقاذ مسيحي دمشق
1863–1864	حج الأمير إلى مكة للمرة الثانية
1864	عودة الأمير من البقاع المقدسة
1865	رحلة الأمير إلى أوروبا
1867	الأمير في معرض باريس العالمي
1869	الأمير يحضر مراسيم تدشين قناة السويس(17 نوفمبر)
1883	وفاة الأمير (26 ماي)

ملحق:02

رسالة الإمام شامل إلى الأمير عبد القادر (1860)*

إلى من اشتهر بين الخواص والعوام، وامتاز بالمحاسن الكثيرة على جملة من الآنام، الذي أطفأ نار الفتنة قبل الهيجان، واستأصل شجرة العدوان، رأسها كأنه رأس شيطان، المحب المخلص السيد عبد القادر المنصف السلام عليكم. وبعد فقد قرع سمعي ما تمجه السماع، وتنفر عنه الطباع، من أنه وقع هناك بين المسلمين والمعاهدين ما لا ينبغي من أهل الاسلام، وربما كان يفضي إلى امتداد العناد بين العباد في تلك البلاد، ولذلك عند سماعه اقشعر منه جلدي، وعبست طلاقه وجهي، وقلت ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، وتعجبت كيف عمي من أراد الخوض في تلك الفتنة العظيمة من الولاة عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا من ظلم معاهدًا أو انتقصه حقه أو كلفه فوق طاقته او أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة، وهو حديث حسن، ثم لما سمعت أنك خفضت جناح الرحمة والشفقة لهم، وضربت على يد من تعدى حدود الله تعالى وأخذت قصب السبق في مضمار الثناء استحقيت(كذا) لذلك رضيت عنك والله تعالى يرضيك يوم لا ينفع مال ولا بنون، لأنك أحييت ما قال الرسول العظيم الذي ارسله الله رحمة للعالمين ووضعت من يتجرأ عل سنته بالمخالفة، نعوذ بالله ممن تجاوز حدود الله، ولكوني ممتلئ بالرضى عنك كتبت هذه الرسالة اليك إعلاما بذلك والسلام.

حرر سنة سبع وسبعين ومائتين وألف　　　　شامل الغريب

---

* كتبها عقب أحداث فتنة الستين كما وردت في تحفة الزائر، ج2، ص114.

ملحق:03

رد الأمير على رسالة الإمام شامل (1860)*

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى سائر إخوانه من النبيين والمرسلين. إنه من الفقير إلى مولاه الغني عبد القادر بن مُحي الدين الحسني إلى الأخ في الله تعالى والمحب من أجله الإمام شامل. كان الله لنا ولكم في المقام والرحيل وسلام الله عليكم ورحمته وبعد فإنه وصلني الأعز كتابكم وسرني الألذ خطابكم والذي بلغكم عنا ورضيتم به منا من حماية أهل الذمة والعهد والذب عن أنفسهم وأعراضهم بقدر الطاقة والجهد هو كما في كريم علمكم مقتضى أوامر الشريعة السنية والمروءة الانسانية فان شريعتنا متممة لمكارم الاخلاق فهي مشتملة على جميع المحامد الموجبة لاتلاف اشتمال الأطواق على الأعناق والبغي في كل الملل مذموم ومرتعه وخيم ومرتكبه ملوم ولكن:

يقضى على المرء في أيام محنته حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

فإن لله وأنا اليه راجعون على فقد أهل الدين وقلة الناصر للحق والمعين حتى صار يظن من لا علم له أن أصل دين الاسلام الغلظة والقسوة والبلادة والجفوة فصبر جميل والله المستعان. ومنذ زمان بلغنا وصولكم عند ملك روسيا وأنه فعل معكم ما هو أهله من الإحسان وأنزلكم من الاكرام أرفع منزل ومكان وسمعنا أنكم طلبتم منه تسريحكم إلى الحرمين الشريفين فنسأل الله أن يجيب مطلوبكم وينيلكم مرغوبكم وأمبراطور روسيا من أعظم ملوك الأرض شأنا وأحرصهم على تخليد المفاخر في بطون الدفاتر فنرجو لكم من حضرته الفخيمة حصول الأرب بلا نصب ولا تعب كما فعل معنا الإمبراطور نابليون الثالث فإنه فعل معنا من سني الأفعال ما لم يخطر في بال والمرجو في الحقيقة هو الله المعبود لا معبود سواه.

حرر في أول جمادي الأولى سنة سبع وسبعين ومائتين وألف

* (تحفة الزائر ج2 ص115.)

ملحق:04

رسالة من يوسف كرم بك إلى الأمير عبد القادر يرشحه فيها للإمارة العربية*

«إلى فخامة الأمير عبد القادر الجزائري

حمدا لمن له الحمد.

سيدي ومولاي الأفخم.

بما ان الله سبحانه وتعالى قد جعل فخامتكم مرجعا وفخرا لسائر أبناء الجنس العربي، فقد حق لي، بل توجب علي، أن أعرض للمسامع الكريمة بعض وقائع الأحوال، موطدًا الثقة بحسن الشيم والحكم الشهيرة، ومخضعا ايضاحاتي هذه لأحكام فخامتكم.

...

أولا- ان ناكري حق الله والعباد قد تكاثر عددهم وعظمت شوكتهم، وبينما البعض منهم يتظاهر مكرا بمساعدة إحدى الدول، ويتظاهر البعض الآخر بمساعدة غيرها، فجميعهم يتآمرون عل اسقاط هذه الدول ..

...

لأنه بينما كل حكومة تعتني بتنظيم رعاياها على اختلاف مذاهبهم، وإنهاض شرف جنسهم ووطنهم، وإسناد سطوتها إلى اتحاد اقطارها وقوتها الداخلية،وزرع بذور الفتن والاضطرابات في الممالك الأجنبية لإضعافها، فإن الحكومة العثمانية حفظها الله لا هم لها إلا اثارة الفتن بين شعوب الأقطار العربية المختلفي المذاهب..

رابعا- لدى التبصر بهذه التصرفات الربانية المنظورة، يتضح جليا، بأن لا نجاة ولا نجاح للأقطار العربية جمعاء إلا بالاتحاد تحت رايتكم الشريفة ..

...

خامسا- ان فخامتكم أحق وأولى من غيرها بالإمارة، وذلك نظرا للأصل الشريف والمقام الرفيع.. ولم يبق للجنس العربي سبيل للنجاة من غوائل أرباب المطامع إلا بإعطاء القوس راميها والإمارة مستحقها..»

---

* من كتاب (سطور من الرسالة)، ص106-112، بتصرف.

ملحق:05

مقتطف من رسالة «ذكرى العاقل وتنبيه الغافل»[*]

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

يقول عبد القادر، بن محيي الدين، بن المصطفى، بن محمد، ابن المختار، بن عبد القادر، بن أحمد، بن عبد القادر، بن أحمد، ابن محمد، بن عبد القوي، بن علي، بن أحمد، بن عبد القوي ابن خالد، بن يوسف، بن أحمد، بن بشار، بن أحمد، بن محمد، ابن مسعود، بن طاوس، بن يعقوب، بن عبد القوي، بن أحمد، ابن محمد بن إدريس، بن عبد الله الكامل، بن الحسن المثنى، بن الحسن سبط الرسول، بن علي، بن أبي طالب، بن عبد المطلب، بن هاشم. وأم الحسن، فاطمة، بنت محمد، رسول الله، بن عبد الله، ابن عبد المطلب، هاشم.

الحمد لله رب العالمين. ورضي الله تعالى عن العالمين.

أمّا بعد؛ فإنه بلغني: أن علماء باريز وفقهم العليم الحكيم العزيز، كتبوا اسمي في دفتر العلماء. ونظموني في سلك العظماء. فاهتززت لذلك فرحاً ثم اغتممت ترحاً، فرحت من حيث ستر الله علي، حتى نظر عباده، بحسن الظن إليّ. واهتممت من كون العلماء، استسمنوا ذا ورم ونفخوا في غير ضرم، ثم أشار علي بعض المحبين منهم؛ بإرسال بعض الرسائل إليهم. فكتبت هذه العجالة للتشبه بالعلماء الأعلام. ورميت سهمي بين السهام.

فتشبهوا إن لم تكونوا منهم ... أن التشبه بالكرام رباح

[*] موجهة إلى السيد رينود رئيس الجمعية الأسيوية بباريس، من كتاب: رسالة إلى الفرنسيين، تحقيق عمار طالبي

وسميت هذه الرسالة ذكرى العاقل وتنبه الغافل ورتبتها على مقدمة، وثلاثة أبواب وخاتمة. وفي كل باب: فصل، وتنبيه، وخاتمة.

أما المقدمة، ففي الحث على النظر، وذم التقليد.

وأما الباب الأول، ففي فضل العلم والعلماء، وفيه فصل: في تعريف العقل، الذي به إدراك العلوم وتكملة في القوى الأربع، التي إذا اعتدلت في الإنسان، يكون إنساناً كاملاً. وتنبيه في: فضل إدراك العقل، على إدراك الحواس، وفضل مدركات العقل، على مدركات الحواس، وخاتمة في: انقسام العلم، إلى محمود ومذموم.

وأما الباب الثاني: ففي العلم الشرعي، وفيه فصل في: إثبات النبوة، التي هي منبع العلوم الشرعية، وفيه تنبيه في: معرفة النبي، وما يتعلق بالنبوة، وخاتمة في المكذبين للأنبياء.

وأما الباب الثالث: ففي فضل الكتابة. وفيه فصل في: الكلام على كتابات الأمم، ومن وضعها وما ينجر إلى ذلك.وتنبيه في: بيان حروف الكتابة العربية، وخاتمة في احتياج الناس إلى التصنيف وما يتعلق به، وخاتمة الرسالة في انقسام الناس بحسب العلوم والمعارف، واختلاف المذاهب.

ملحق:06: الصور

صورة الصفحة الأولى من كتاب السيرة الذاتية للأمير عبد القادر*

* من كتاب: l’Emir Abdelkader, Autobiographie, Ecrite en prison (France) en 1849 et publiée pour la première fois, Tr : H.Benmansour, Dialogues Edition, paris, 1995.



صورة للأمير عبد القادر مع حاشيته وإلى يمينه الجنرال مكماهون .
أخذت من طرف المصور دالتون بتاريخ 12 جويلية 1865.*

* المصدر: www.napoleon.org/fr/galerie/iconographie/files/471319.asp



رسم للأمير عبد القادر في قصر أمبواز 1852

الرسام : تيسيي أونج (Tissier Ange) *

* المصدر: www.europeana.eu/portal/record

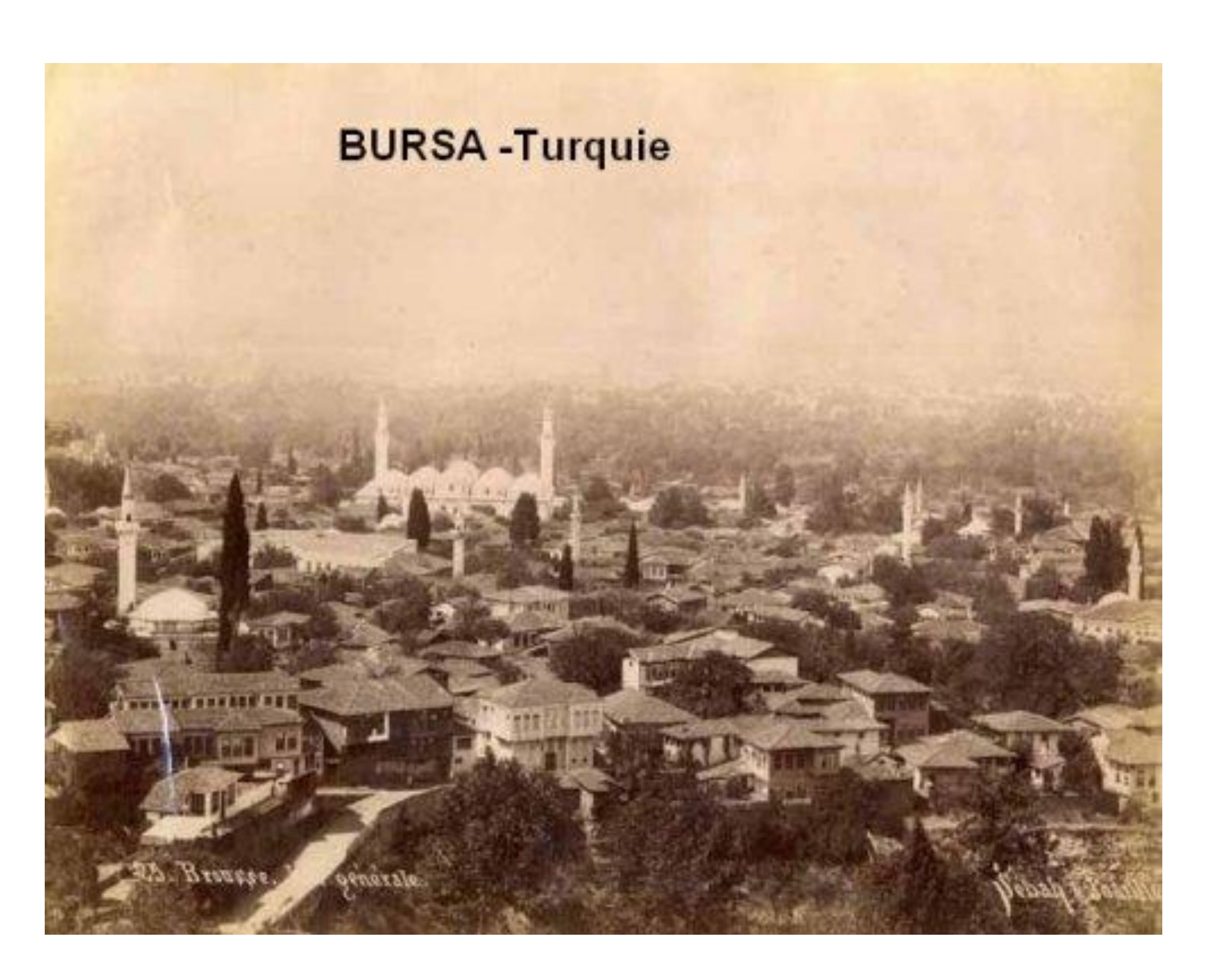


PHOTO PRISE A PORT-SAÏD EN 1863. — *Le quatrième personnage debout, en partant de la gauche, est le khédive d'Egypte : Ismail Pacha; le cinquième : Abdelkader; le sixième : Ferdinand de Lesseps. Assis sur une chaise, à droite : Châmil*

صورة للأمير في بور سعيد بقناة السويس ويظهر إلى يمينه الخديوي اسماعيل باشا والى يساره فرديناند دي لِسَبْس أما الجالس على كرسي يمينا فهو الإمام شامل*

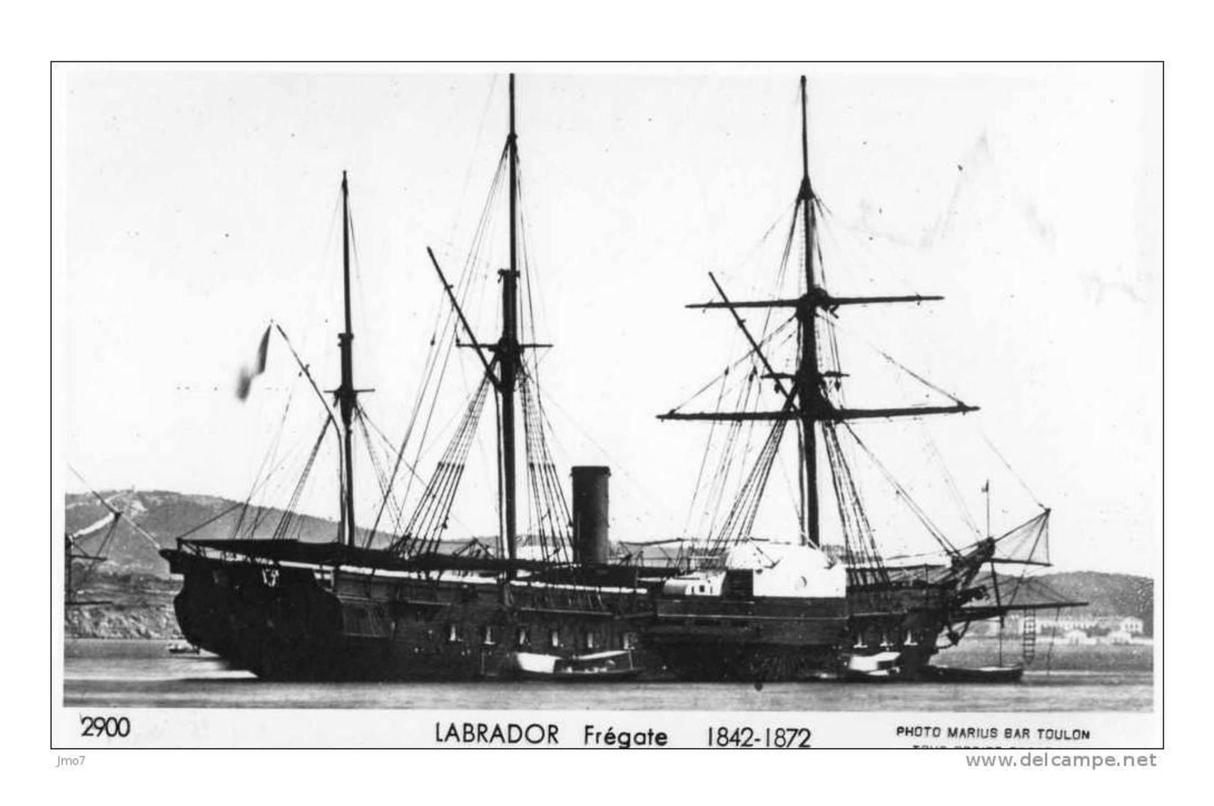
المصدر : http://lavoixdesidibelabbes.info/actualites/lemir-abdelkader.

*المصدر : http://lavoixdesidibelabbes.info/actualites/lemir-abdelkader.



مدينة بورسة في أواخر القرن التاسع عشر، المدينة التي استقر بها الأمير بعد إطلاق سراحه.*

* المصدر: http://oueldserkhane.skyrock.com



«لابرادور» السفينة التي نقلت الأمير عبد القادر من فرنسا إلى اسطنبول سنة 1852.*

* المصدر: www.delcampe.net



منح الصلح أحد زعماء الحركة الاستقلالية 1877 ووالد مؤلف كتاب سطور من الرسالة.*

* من موقع: http://saidacity.ne



يوسف كرم بك.*

* من كتاب سطور من الرسالة لعادل الصلح ص115



الدمار الذي لحق بالحي المسيحي في دمشق عقب أحداث 1860.

المصور: فيكتور نو دي شابلويس (Victor Nau de Champlouis) *

* المصدر:

Leila Tarazi Fawaz, An Occasion for War: Civil Conflict in Lebanon and Damascus in 1860, University of California Press, Berkeley. Los Angeles, 1994, p. 3.

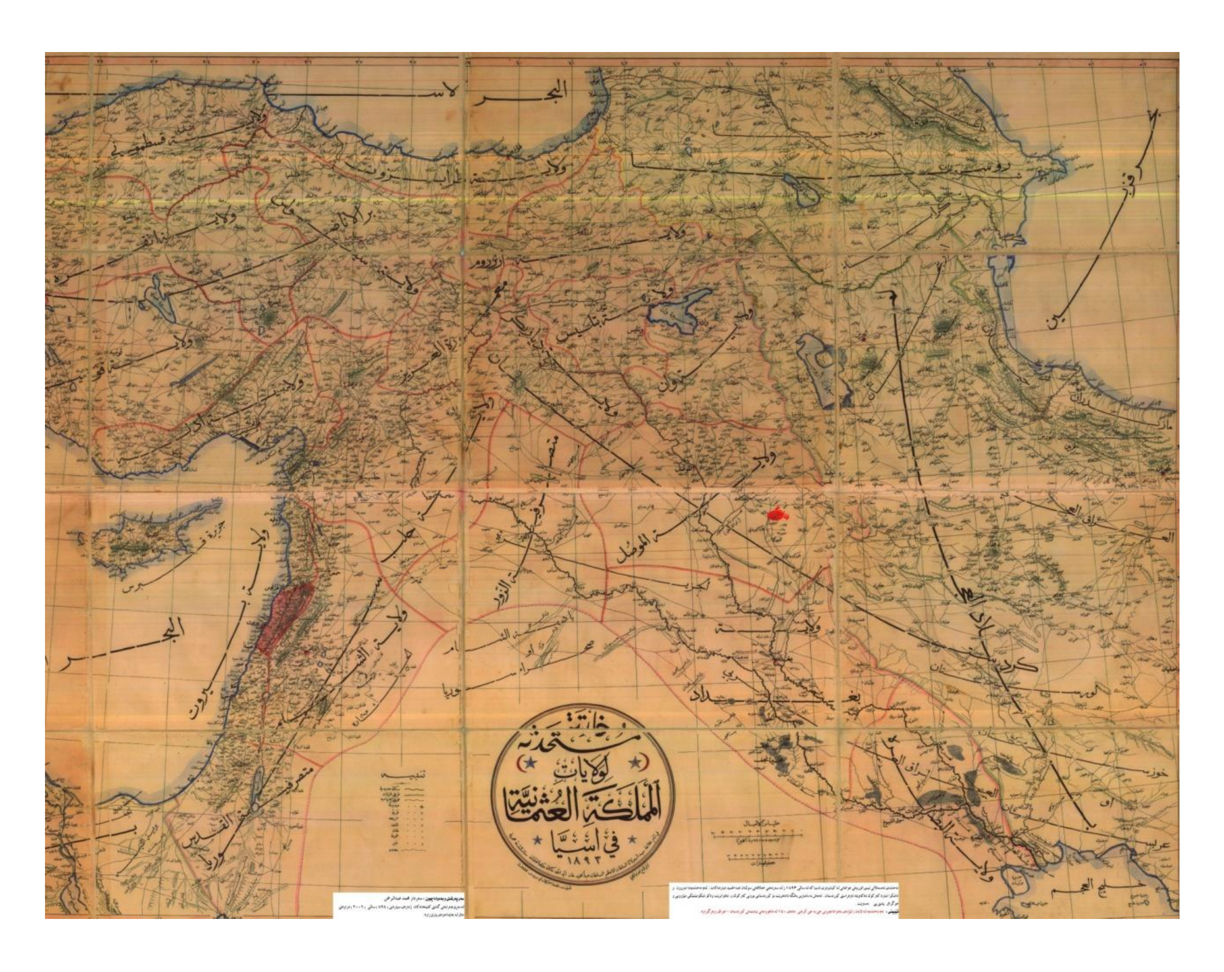
many remain closed. Fuad Pasha leaves this evening for Beyrout to meet the commissioners and make arrangements with General Beaufort d'Hautpoul to prevent the effervescence of the French army from taking an inconvenient direction. Although Fuad Pasha bears up bravely under the weight of his onerous and painful duties, I think he felt them to be most irksome to-day. Lord Dufferin came here on Thursday with Mr. Cyril Graham from Beyrout to judge for himself of the state of Damascus. The trip was not at all an official one, but was undertaken in the absence of his colleagues. Among the narratives I have collected I select one which will throw light upon the conduct of a Turkish police officer recently executed. On the morning of the insurrection (Monday, July 9), the city of Damascus was perfectly quiet, and the Emir Abd-el-Kader set out for a neighbouring village, Ellachrafieh, where he has some property. At about half-past 2 in the afternoon the rising took place, in consequence of the authorities having arrested the individuals who had grossly insulted Christians. At that time Dr. Michael Mechaker, American Vice-Consul, was in his house alone,

صورة لقصاصة من جريدة التايمز اللندنية وهي تغطى حوادث الستين.*

ترجمة النص:

...توجه فؤاد باشا هذه الليلة إلى بيروت للقاء أعضاء اللجنة ولاتخاذ الترتيبات اللازمة مع الجنرال دي بوفورت لمنع الجيش الفرنسي من التوجه إلى دمشق .على الرغم من أن فؤاد باشا اظهر قدرا من الشجاعة لتحمل مهامه الثقيلة والمؤلمة .أعتقد انه كان يشعر بالمعاناة اليومية المؤلمة. وفي يوم الخميس جاء اللورد دوفيرن ،مع السيد سيريل غراهام، من بيروت ليحكم بنفسه على الأوضاع في دمشق .ولم نكن هذه الزيارة رسمية، ولكن جاءت في غياب زملائه (القناصلة) وبالنيابة عنهم، ومن الروايات التي جمعتها أخترت واحدة من شأنها أن تسلط الضوء على سلوك ضابط الشرطة الأتراك الذين أعدموا مؤخرا. وفي الصباح الموالي لحركة التمرد (الاثنين 9 يوليو) بدت مدينة دمشق هادئة تماما، وغادر الأمير عبد القادر إلى الأشرفية وهي قرية مجاورة حيث كان له بعض الممتلكات .وفي حدود الثانية والنصف ظهرا، قامت السلطات باعتقال بعض الأفراد الذين أهانوا المسيحيين علنا. في تلك الأثناء، كان الدكتور مايكل ميشاكر، نائب قنصل الولايات المتحدة، وحده في منزله..

* المصدر: http://www.mideastimage.com/preview.php



صورة لخريطة ولايات الدولة العثمانية في آسيا 1893 في عهد السلطان عبد الحميد الثاني طبعت ببيروت سنة 1893.*

* المصدر :الموسوعة الجغرافية/المجلة الجغرافية: http://www.4geography.com/vb/showthread.php?t=7033



قائمة المصادر والمراجع

المصادر بالعربية

1. الأسطواني محمد سعيد، مشاهد وأحداث دمشقية في منتصف القرن التاسع عشر، تح: أسعد الأسطواني، دمشق، دار الجمهورية، 1994.
2. الأمير عبد القادر الجزائري، نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر، مؤسسة الأمير عبد القادر، الجزائر، 2001.
3. الأمير عبد القادر الجزائري، مذكرات الأمير عبد القادر سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة 1849، تح محمد الصغير بناني وآخرون، دار الأمة، 1995.
4. محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1، الإسكندرية، 1903.
5. محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج2، الإسكندرية، 1903.
6. البيطار عبد الرزاق، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ج2، دار صادر، بيروت، 1993.
7. تشرشل شارل هنري، حياة الأمير عبد القادر، تر أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، 1974.
8. التهامي الحاج مصطفى بن، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تح وتق وتعل يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995.
9. حتاته يوسف كمال بك(تع)، مذكرات مدحت باشا، مطبعة هندية بالموسكي، مصر،(د ت).
10. حليم إبراهيم بك ،الدولة العثمانية العلية المعروف بكتاب التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1988.
11. الخازن فيليب وفريد، مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية عن سورية ولبنان من سنة 1840 إلى سنة 1910، الجلد [كذا] الثاني من كانون الثاني سنة 1860 إلى تشرين الأول منها، مطبعة الصبر، جونية، لبنان، 1911.
12. خوجة حمدان بن عثمان، المرآة، تق وتع وتح: محمد العربي الزبيري، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

13. الدبس يوسف، الجامع المفصل في تاريخ الموارنة المؤصل، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1905.
14. دحو العربي، ديوان الشاعر الأمير عبد القادر الجزائري 1807م-1883م، جم - تح -ش وتق، ط3، منشورات ثالة، الجزائر، 2007.
15. السنوسي محمد، الرحلة الحجازية، ج1، تح علي الشنوفي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1976.
16. الشدياق سليم فارس، كنز الرغائب في منتخبات الجوائب، ج5، ط1، مطبعة الجوائب، الآستانة، 1297هـ.
17. الشدياق طنوس بن يوسف، كتاب أخبار الأعيان في جبل لبنان، بيروت،1859.
18. عبد الحميد الثاني (السلطان)، السلطان عبد الحميد الثاني مذكراتي السياسية 1891-1908، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1979.
19. مجهول، حسر اللثام عن نكبات الشام، ط1، مصر، 1895.
20. مجهول، مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سورية، تح وتق أحمد غسان سبانو، دار قتيبة للطباعة والنشر، دمشق، 1990.
21. مشاقة مخائيل، كتاب مشهد العيان بحوادث سورية ولبنان، مصر،1908.
22. نوفل نسيم، كتاب بطل لبنان الشهير الطائر الصيت المرحوم يوسف بك كرم، المطبعة الوطنية بالإسكندرية، 1896.

المراجع بالعربية

1. ألتر عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في شمال أفريقيا، تر محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، 1989.
2. إباضة نزار، الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، دار الفكر المعاصر، بيروت،1994.
3. أبو حمدان سمير، خير الدين التونسي، دار الكتاب العالمي، بيروت، 1993.
4. إتيين برونو، عبد القادر الجزائري، تر ميشيل خوري، ط1، دار عطية للنشر، بيروت، دمشق، 1997.

5. آصاف عزتلو يوسف بك، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، تق محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1990.
6. انطونيوس جورج، يقظة العرب، تر ناصر الدين الأسد و إحسان عباس، ط8، دار العلم للملايين، بيروت، 1987.
7. أوزتونا يلماز، تاريخ الدولة العثمانية ج2، تر عدنان محمود سليمان، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، اسطنبول، 1990.
8. أوغلى أكمل الدين إحسان، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، تع صالح سعداوي، استانبول، 1999.
9. بدوي عبد الرحمن، مذاهب الإسلاميين، دار العلم للملايين، بيروت،1997.
10. بروكلمان كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1968.
11. برون جفري، تاريخ أوروبا الحديث، تر علي المزروقي، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2006.
12. بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.
13. بوعزيز يحيى، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية 1830-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
14. بيات فاضل، الدولة العثمانية في المجال العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2007.
15. جحا ميشال، سلسلة الأعمال المجهولة، إبراهيم اليازجي، ط.1، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، 1992.
16. جرانت آرثر جيمس وتمبرلي هارولد، أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين 1789-1950، ج1، تر بهاء فهمي، مؤسسة سجل العرب، ط6، القاهرة، (د ت)،
17. حاطوم نور الدين، تاريخ الحركات القومية، ج2، ط1، دار الفكر، دمشق، 1969.
18. حتي فيليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج2، تر كمال اليازجي وجبرائيل جبور، دار الثقافة، بيروت، 1983.
19. حسنين محمد، الاستعمار الفرنسي، ط4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،

.1986
20. حمدان جمال، العالم الاسلامي المعاصر،علم الكتب، القاهرة، 1990.
21. الخالدي سهيل، الإشعاع المغربي في المشرق دور الجالية الجزائرية في بلاد الشام، دار الأمة، الجزائر، 1997.
22. خليفة كمال عصام، أبحاث في تاريخ لبنان المعاصر، دار الجيل، بيروت، ط1، 1985.
23. الدوري عبد العزيز، التكوين التاريخي للأمة العربية دراسة في الهوية والوعي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط3، بيروت، 1986.
24. دولينا نينل الكسندروفنا، الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية في ثلاثينات وأربعينات القرن التاسع عشر، تر أنور محمد ابراهيم، المجلس العلمي للثقافة، القاهرة، 1999.
25. راشد زينب عصمت، تاريخ أوروبا الحديث في القرن التاسع عشر، دار الفكر العربي، القاهرة، (د ت)
26. زيدان جورجي، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر،ج2، ط3، مطبعة الهلال، مصر، 1922.
27. زيدان جورجي، كتاب العرب قبل الإسلام، ط2، مطبعة الهلال، القاهرة، 1922.
28. ساحلي محمد الشريف، الأمير عبد القادر أباطيل فرنسية وحقائق جزائرية، تع حبيب شنيني، دار القصبة للنشر، 2003.
29. ساحلي محمد الشريف، الأمير عبد القادر فارس الإيمان، تر محمد يحياتن، منشورات ANEP، الجزائر، 2008.
30. سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،ج3، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005.
31. سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930)، ج2، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.
32. سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية(1830-1900)، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.
33. سعد الله أبو القاسم، بحوث في التاريخ العربي الإسلامي، دار الغرب الإسلامي،

ط1،الجزائر 2003.

34. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، دار البصائر، الجزائر،2007.
35. سعد الله أبو القاسم، على خطى المسلمين حراك في التناقض، عالم المعرفة، ط1، الجزائر،2009.
36. سعد الله أبو القاسم، محمد الشاذلي القسنطيني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.
37. سعد الله أبو القاسم، رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.
38. سعيدوني ناصر الدين، عصر الأمير عبد القادر الجزائري، مؤسسة جائزة عبد العزيز البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2000.
39. سنّو عبد الرؤوف، النزعات الكيانية الإسلامية في الدولة العثمانية 1877-1881 بلاد الشام-الحجاز-كردستان-ألبانيا، دار بيسان للنشر، بيروت، 1998.
40. سويد ياسين، فرنسا والموارنة ولبنان، شركة المطبوعات والنشر والتوزيع، بيروت، 1992.
41. شيخو لويس، تاريخ الآداب العربية(1800-1925)، ط3، دار المشرق، بيروت، 1991.
42. شيلشر ليندا، دمشق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، تر عمرو ودينا الملاح، دمشق، 1998.
43. الصباغ ليلى، الحياة الاقتصادية للولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني، جم وتق عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية خلال العهد العثماني، زغوان، 1986.
44. صبري محمد، مصر من محمد علي إلى اليوم، القاهرة، مطبعة مصر، 1927.
45. الصلابي علي محمد، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 2001.
46. الصلح عادل، سطور من الرسالة تاريخ حركة استقلالية قامت في المشرق العربي سنة 1877، دار العلم للملايين، بيروت، 1966.
47. طالبي عمار، رسالة إلى الفرنسيين، منشورات (ANEP) الجزائر، 2005.

48. عبد الرحيم مصطفى أحمد، في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، بيروت، 1986.
49. عبد الساتر لبيب، التاريخ المعاصر، ط2، دار المشرق، بيروت، 1982.
50. العُودَات حسين، العرب النصارى عرض تاريخي، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1992.
51. فريمو جاك، فرنسا والإسلام من نابليون إلى ميتران، تر هاشم صالح، ط1، دار قرطبة للنشر والتوثيق والأبحاث، دار الأرض للنشر المحدودة، قبرص، 1991.
52. الفقيه محمد تقي، جبل عامل في التاريخ، ط2، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1986.
53. كرد علي محمد، خطط الشام، ج3، مطبعة الترقي، دمشق، 1925.
54. كوران آرجمنت، السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، تر عبد الجليل التميمي، منشورات الجامعة التونسية، 1970.
55. كوندز أحمد آق وسعيد أوزتورك، الدولة العثمانية المجهولة، تر اورخان علي وعوني لطفي اوغلي، وقف البحوث الإسلامية، اسطنبول، 2008.
56. مالكي امحمد، الحركات الوطنية والاستعمار بالمغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1994.
57. مانتران روبير، تاريخ الدولة العثمانية، ج2، تر بشير السباعي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1992
58. بوعرفة عبد القادر وآخرون، تبر الخواطر في فكر الأمير عبد القادر، دار القدس العربي، الجزائر، 2010.
59. المدني أحمد توفيق، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2001.
60. مهران بيومي محمد، بلاد الشام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990.
61. موسى سليمان، الحركة العربية 1908- 1924، ط3، دار النهار للنشر، بيروت، 1986.
62. نوار عبد العزيز سليمان و جمال الدين محمود محمد، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى الحرب العالمية الثانية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999.

63. نوار عبد العزيز سليمان ونعنعي عبد المجيد، التاريخ المعاصر أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، دار النهضة العربية، بيروت،(د ت).
64. نوار عبد العزيز سليمان، الشعوب الإسلامية، دار النهضة الحديثة، بيروت، 1973.
65. هشماوي مصطفى، جذور نوفمبر 1954 في الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2010.
66. هيكل محمد حسنين، المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، ط.1، دار الشروق، القاهرة، 1996.
67. ياغي إسماعيل أحمد وشاكر محمود، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، ج1، دار المريخ، الرياض، 1984.
68. ياغي إسماعيل أحمد، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1996.
69. ياغي إسماعيل أحمد، العالم العربي في التاريخ الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض،1997.

المقالات بالعربية

1. أسعد الأسطواني، «دمشق على أبواب القرن العشرين»، مجلة التراث العربي، العددان: 55 و 56 – السنة 14 – نيسان وتموز (أبريل ويوليو)، دمشق، 1994.
2. ألان كريستلو، الجزائريون والأزمة السورية من الأمير عبد القادر (1860) إلى الأخضر الإبراهيمي (2012)، تر أ.د. أبو القاسم سعد الله، جريدة الشروق الجزائرية ، عدد 3777، 16 سبتمبر 2012.
3. البدري محمد عبد الستار، «نابليون الثالث ودروس للشعوب»، جريدة الشرق الأوسط، عدد 11973، 9 سبتمبر 2011.
4. بلقراد محمد ،«الجانب الصوفي والثقافي في حياة الأمير عبد القادر»، مجلة التاريخ عدد خاص بمناسبة الذكرى الـــ100 لوفاة الأمير عبد القادر النصف الأول من سنة 1983

5. بولاد إلياس، «حوادث 1860 في لبنان ودمشق فتنة دينية أم مؤامرة سياسية غربية»، مجلة النور، عدد 239، 2006/03/29، دمشق.
6. حسان عبد الكريم،«امتياز سكة حديد برلين- بغداد»، جريدة المدى العراقية، عدد1536، 24 ماي 2009.
7. الخالدي سهيل، «توضيحات لألان كريستلو في مقاله من الأمير عبد القادر 1860 إلى الأخضر الإبراهيمي 2012»، جريدة الشروق الجزائرية، عدد 3787، 26 سبتمبر 2012.
8. دفوس فضيلة، «العلاقات الإيرانية-الإسرائيلية من سهر العسل إلى الطلاق البائن»، جريدة الشعب الجزائرية، عدد 15733، 29 فيفري 2012.
9. الساحلي خليل، «مغاربة في تركيا في أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر»، المجلة التاريخية المغربية، عدد3، تونس، جانفي 1975.
10 شرشار عبد القادر، «شخصية الأمير عبد القادر من منظور الآخر ترجمة أشهر مؤلفات الأمير عبد القادر من قبل الباحث الفرنسي جوستاف دوجا»، مجلة التراث العربي، العدد 90، السنة الثالثة والعشرون - حزيران (يونيو)، دمشق، 2003.
11 صبحي حسان، «الأمير عبد القادر وتاريخ الوحدة الوطنية الجزائرية»، مجلة أخبار معسكر عدد خاص بمناسبة الذكرى 119 لوفاة الأمير عبد القادر، جوان 2002.
12 عويمر مولود، كيف تعامل الرأي العالمي مع الاحتلال الفرنسي للجزائر (1830)، البصائر،عدد 608، جويلية 2012.
13 المدني أحمد توفيق، «الأمير عبد القادر الجزائري وحوادث سورية المحزنة، والدولة العثمانية»، مجلة التاريخ، عدد خاص بمناسبة الذكرى الـــ100 لوفاة الأمير عبد القادر، النصف الأول من سنة 1983.
14 مفتاح عبد الباقي، «التعريف بكتاب المواقف للأمير عبد القادر الجزائري»، مجلة أخبار معسكر عدد خاص بمناسبة الذكرى 119 لوفاة الأمير عبد القادر، جوان 2002.
15 مفتاح عبد الباقي، «لمحات من تصوف الأمير عبد القادر»، مجلة أخبار معسكر عدد خاص بمناسبة الذكرى 119 لوفاة الأمير عبد القادر، جوان 2002.
16 منجد طلال، «جذور ومقومات التدخل الدولي في لبنان: حالة سنة 1860»، جريدة

التمدن، طرابلس، لبنان، العدد: 1246، 2010/05/20 م.

الرسائل الجامعية

1. بن ساعد عائشة، البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2003-2004، (غير منشور).
2. الحسني أحمد معاذ الخطيب، دور السياسة الدولية في إثارة النعرات الطائفية والوعي الإسلامي تجاهها، بحث مقدم لنيل درجة الدبلوم في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، الأكاديمية السورية الدولية، 2010، (غير منشور).
3. عبد الرحيم علي جيهان، الآثار السياسية والحضارية للانتداب الفرنسي والبريطاني على بلاد الشام(1924-1939) بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث والمعاصر بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2011،(غير منشور).
4. عوض محمد عبد العزيز، الإدارة العثمانية في ولاية سورية (1864-1914م)، رسالة ماجستير في الآداب، جامعة عين شمس، دار المعارف بمصر، 1969.

القواميس والموسوعات

1. باكسون ج ج، موسوعة مشاهير العالم، ج3، دار الصداقة العربية، بيروت، ط1، 2002.
2. البَعلبكي منير، معجم أعلام المورد، ط1، دار العلم للملايين بيروت، 1992.
3. حرفوش بطرس وآخرون، المنجد في الأعلام، ط13، دار المشرق، بيروت، 1984.
4. الزِركْلي خير الدين، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1980.
5. عبد العزيز مجدي سيد(إعداد)، موسوعة المشاهير، الكتاب الثاني، دار الأمين، القاهرة، ط1، 1996.

6. الكيلاني عبد الوهاب، موسوعة السياسة،ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1990.
7. نصار حسين محمد، الموسوعة العربية الميسرة، ط3، المكتبة العصرية، بيروت 2009.
8. نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1980.

المصادر والمراجع باللغة الأجنبية

1. Abd-el-Kader, Lettres aux français, Traduction par René R. Khawam , Phébus, Paris,1977.
2. Adolphe de Chesnel, Jules Duvaux, Dictionnaire des armées de terre et de mer, encyclopédie militaire et maritime, deuxième partie, Armand le chevalier, éditeur, Paris, 1863-1864.
3. Ageron Charles-Robert, Abd el-Kader souverain d'un royaume arabe d'Orient, In: Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°8, 1970, unica.
4. Aire Marie d', (née Boissonnet), Abd-el-Kader: quelques documents nouveaux lus et approuvés par l'officier en mission auprès de l'émir, Imprimerie Yvert & Tellier, Amiens, France, 1900.
5. Annuaire des deux mondes: histoire générale des divers états, 1860 (T10), 1er juillet 1861 ,Paris.
6. Arboit Gérald, le second empire et le Machrek, Revue du Souvenir Napoléonien, n°433, Année: 2001.
7. Baudicour Louis de, La France au Liban, E. Dentu libraire. Paris. 1879.
8. Bellemare Alexander, Abd-el-kader sa vie politique et militaire, Librairie de L. Hachette et Cie , Paris, 1863.
9. Benaissa Hamza, L’Emir Abdelkader et la franc maçonnerie, El maarifa éditions, Alger.

.10 Boinvillies Edouard, Revue contemporaine, A12, SER2, T32, Paris, 1863, P.221.

.11 Bouyerdene Ahmed, L'émir Abd el-Kader à Pau Exemples d'un dialogue religieux au XIXe siècle in : Studia Islamica, nouvelle édition/new series, 2, 2011.

.12 Étienne Bruno, « Les projets d'un « royaume arabe » au Bilâd al-Shâm : histoire d'un malentendu entre la France et l'émir Abd el-Kader », in Pierre-Jean Luizard, Le choc colonial et l'islam, Les politiques religieuses des puissances coloniales en terres d'islam, La Découverte, Paris, 2006.

.13 Eugène de (Cte) Civray, Napoléon III et Abd-el-Kader, Charlemagne et Witiking, étude historique et politique, Biographie de l'émir, P. Martinon, libraire-éditeur, Paris, 1853.

.14 Féraud Laurent Charles, Les interprètes de l'armée d'Afrique (archives du corps), A. Jourdan éditeur, Alger, 1876

.15 Granier de Cassagnac Adolphe, Souvenirs du second Empire, E.Dentu, libraire-éditeur, Paris, 1881.

.16 Goldzeiguer Annie Rey, Le Royaume Arabe la politique algerienne de Napoléon III 1861-1870, Sned, Alger, 1977.

.17 l'Emir Abdelkader, Autobiographie, Ecrite en prison (France) en 1849 et publiée pour la première fois, Tr : H.Benmansour, Dialogues Edition, paris, 1995.

.18 Lenormant François, histoire des massacres de Syrie en 1860. hachette. Paris 1861.

.19 Marcot Jean-Louis, Abd el-Kader et la modernité, Studia Islamica, nouvelle édition/new series, 2, 2011.

.20 Narcisse Faucon, Le livre d'Or de l'Algérie, Challamel et Cie

Éditeurs, Librairie Algérienne et Coloniale, Paris, 1889.

.21 Petit Larousse en couleurs, librairie Larousse, édition 1986, paris, septembre1985.

.22 Pillorget René, les deux voyages de Napoléon III en Algérie (1860 et 1865), Revue du Souvenir Napoléonien, n° 363, Année 1989.

.23 Pouillon François, Dictionnaire des orientalistes de langue française, éditions IISMM-Karthala, 2008.

.24 Poujoulat Baptistin, La Vérité sur la Syrie et l'expédition française, Paris, Gaume frères et J. Duprey Éditeurs, Paris, 1861.

.25 Revet Daniel, le rêve arabe de Napoléon III, l'Histoire, n° 140, janvier 1990.

.26 Revue de l'Orient : bulletin de la Société orientale, mai 1856, 1856/01 (nouv. ser, T3).

.27 Spillmann Georges, le royaume arabe d'Algérie, Revue du Souvenir Napoléonien, n°266, oct. 1972.

.28 Tarazi Leila Fawaz, An Occasion for War: Civil Conflict in Lebanon and Damascus in 1860, University of California Press, Berkeley. Los Angeles, 1994.

.29 Étienne Bruno, «Les projets d'un «royaume arabe» au Bilâd al-Shâm : histoire d'un malentendu entre la France et l'émir Abd el-Kader», in Ahmed Bouyerdene, Éric Geoffroy et Setty G. Simon-Khedis (dir.), Abd el-Kader, un spirituel dans la modernité, Damas, Presses de l'Ifpo («Études médiévales, modernes et arabes», no PIFD 237), 2012

.30 Temini Abdeljelil, Recherches et documents d'histoire maghrébine, In: Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°12, 1972.

.31 Vapereau Gustave, Dictionnaire universel des contemporains, Volume 2, Hachette et Cie, 1870, Paris.

.32 Vigoureux Claude, «Napoléon III et Abd-el -Kader», Napoleonica. La Revue, 2009/1 N° 4.

المواقع الإلكترونية

ffhttp://ar.wikipedia.org
http://fr.wikipedia.org/wiki
http://oueldserkhane.skyrock.com
http://saidacity.ne
http://www.4geography.com/vb/showthread.php?t=7033
www.delcampe.net
www.europeana.eu/portal/record
www.mideastimage.com/preview.php
www.napoleon.org/fr/



فهرس الأعلام والأسماء

أ

ب

ت

د

ر

ز

س

ش

ص- ض

ف - ق

ك

ل

ن

هـ - و - ي



فهرس الأماكن والبلدان

أ

ب

ت - ث

ج

ح - خ

ر - ز

ر - ز

ص- ض

ط - ظ

ع -غ

ن

هـ - و - ي



فهرس الجماعات

أ

ب

ج-ح

د-ز

ر - ز

س - ش

ص - ض

ع -غ

ف - ق

ك - ل - م

ن – هـ – و – ي


فهرس المواضيع

فهرس المواضيع